صور البيان فى شرح ابن عَلان (ت١٠٥٧هـ)

المسمى

(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)

إعداد
د/ محمد حسنى عبد الهادى موسى الجمل
مدرس البلاغة والنقد
فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية فى دمياط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (١)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى آتاه الله جوامع الكلم ومنحه قضيلة البيان، فقطع بها لسان أهل الزور والبهتان، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان٠

وبعد٠٠٠

فالأحاديث الشريفة الثابتة عن رسول الله ﷺ مدرسة فى البلاغة والبيان، فوق أنها طبعاً تشريع وتوجيه، وإذا علمنا أن السنة النبوية هى البيان النبوى للبلاغ القرآنى، أى بيان الأحكام، وتفصيل لما فى الكتاب الكريم، وتطبيق له، لذا فقد استعان النبى ﷺ فى قيامه بمهمة التبيين وللبلاغ التى كلفه بها ربه ﷻ بشتى أساليب الإيضاح والتعليم، وفى الذروة من تلك الأساليب التعبير المصور عن المعنى المجرد بطريق التشبيهات والاستعارات والكنايات، والذى ينقل المعنى من دائرة الذهن إلى دائرة الحس، ولم يلجأ إليه لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء فى تزيين الكلام وتحسينه، وإنما جاء لهدف أسمى، وهو إبراز المعانى فى صورة مجسمة لتوضيح الغامض، وإظهار المعقول فى صورة المحسوس، وتقريب البعيد إلى الأفهام، حتى يكون التعبير أكثر تأثيرا فى النفوس، فيحثها على فعل الخير، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن الرزيلة ٠

وهذا ابن علان الصديق (ت١٠٥٧ هـ) فى شرحه الماتع لكتاب ((رياض الصّالحين)) للإمام النووى (ت٦٧٦هـ) والمسمى ((**دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**)) والذى اشتمل على أحاديث كثيرة تناولت موضوعات شتى: فى الحكم والمواعظ، والترغيب والترهيب، وبيان الصالح من الأعمال والطالح منها، كل مرتب على أبواب، قد حوى هذا الشرح بين طياته كثيرا من اللمسات البلاغية

(١) الرحمن: ١-٤ ٠

والبيانية ، والتى إن دلت على شىء فإنما تدل على اطلاع ابن علان الواسع وإدراكه التام لمسائل علوم البلاغة ٠

لذا فقد يممت وجهتى نحو هذا الشرح، وجعلت الصور البيانية التى وقف أمامها ابن علان شارحا إياه تارة، أو مستعرضا آراء العلماء فيها تارة أخرى . محور هذا البحث ؛ وذلك لأمرين:

الأول: التعرف على بلاغة مَن أوتى جوامع الكلم ﷺ ، وبراعة بيانه التى سحرت القلوب، والتى لا يدركها إلا من تردد بنظره على الحديث الشريف، ودخل فى كل باب من أبوابه٠ **ثانيا:** التعرف على المنحى البلاغى عند ابن علان، ومعرفة مَن وافق من البلاغيين فى الرأى ومَن خالف، مع مناقشة آرائه مناقشة تتسم بالحيادية، دون تحيز أو تحيف ٠

هذا والله أسأل أن يكون هذا البحث قد حقق هدفه وغايته، وكشف النقاب عن جزء من هذا الجانب البلاغى المستور لدى ابن علان، فإن أكن قد وفقت فذلك الفضل من الله، وإن كنت قد قصرت فى بعض الجوانب، أو جانبنى الصواب، فأنا بشر، والبشر ديدنهم التقصير، وفى طبعهم الخطأ، وحسبى أننى قصدت إلى ما هو أحسن وأفضل ٠

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ٠

تمهيد

القيمة الفنية للصورة البيانية

لقد ارتضى البلاغيون المتأخرون الحد الذى ساقه السكاكى تعريفا لعلم البيان، والذى أماط اللثام عن ماهيته بقوله: " علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة "(١).

فعلم " البيان " هو قواعد وأصول تتيح للأدباء المقدرة على تنويع التعبير عن المعني الواحد بأنماط صياغية مختلفة من: التشبيه، والمجاز، والكناية، وذلك وفق مقتضيات الأحوال وتباين المقامات، فإذا بلغ إنسان هذا المبلغ، وصفناه بأنه مبين أو عالم بالبيان .

هذا وقد احتلت الصورة البيانية مكانة مهمة فى الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية، من حيث مجال البحث، والاهتمام بتحديد ماهيتها، ووظيفتها فى العمل الأدبى، لذا كان لابد لنا من الوقوف هنيهة للإشارة إلى بعض الأسباب التى جعلتها تحتل تلك المكانة، والتى تتراءى لنا فيما يأتى:

(أ) تشخيص المجردات وتجسيم المعانى: للصورة البيانية القدرة على نقل المعاني المجرّدة، والمشاعر النفسية المرهفة، إلى صور حسية نابضة، وذلك بإضفاء الطابع الإنسانى على المجردات، وتجسيد المعنويات فى صورة مادية محسوسة، يقول الإمام عبد القاهر وهو بصدد حديثه عن التمثيل: " وهو يريك للمعانى الممثلة بالأوهام شبها فى الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد"(٢).

ويقول عن الاستعارة أيضا: " فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون"(٣) .

---

(١) مفتاح العلوم: للسكاكى: ص١٦٣.

(٢) أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجانى: ص١١٨ .

(٣) المصدر السابق: ص ٤١ .

وانظر إلى الاستعارة فى قوله:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [١]،وكيف جسدت تبليغ الأمر وإبانته بحيث لا يعود إلى حالته الأولى من الخفاء، جسدته فى صورة صدع الزجاجة حيث لا يعود المكسور إلى حالته الأولى التى كان عليها من الالتئام.

وتأمل الكناية بحمالة الحطب عن الإنسان المغتابة النمامة التى تفسد وتشعل نار العداوة بين الناس ، وذلك فى قوله تعالى:﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ [٢]، فسترى وأنت تقرؤها أنها قد جسدت أمام عينيك امرأة ممسكة حطبها بيديها ومشعلة نارا؛ لتوقد العداوة والبغضاء بينهم [٣].

(ب) الإقناع الفنى أو العقلى بمضمونها: يتأتى هذا الإقناع من خلال ما تقوم عليه الصورة البيانية من عرض المعنوى المغيب . والمتمثل فى الأفكار المجردة والمعانى الذهنية . فى صورة الحسى المشهود، فيدركها المتلقى إدراكا حسيا، ولذا تكون لها فعاليتها فى نفسه، وتأثيرها فى وجدانه، " غير أننا ينبغى أن ننبه إلى أن الإقناع الذى نقصده هنا ليس إقناعا عقليا منطقيا، ينظر فيه المتلقى إلى صدق المقدمات ليبنى عليها نتائج، ولكنه إقناع فنى نفسى " [٤].

ويبين ابن الأثير التأثير الساحر للعبارة المجازية فى النفوس فيقول: "وأعجب ما فى العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعى في بعض الأحوال، حتى إنها ليسمح بها البخيل ، ويشجع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو إقدام على أمر مهول، وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغنى عن إلقاء العصا والجبال " [٥].

كما يتحقق هذ االنوع من الإقناع إذا كان المشبه من الأمور الغريبة التى يستبعد العقل حدوثها، ويدعى استحالة حصولها، فيشبه بشىء مسلم الوقوع ؛

---

(١) الحجر: ٩٤ .

(٢) المسد: ٤ .

(٣) التشبيه والكناية بين التنظير البلاغى والتوظيف الفنى:د/ عبد افتاح عثمان:ص١٧٣ (بتصرف) .

(٤) أضواء على الفكر البلاغى (البيان): د/ محمد الحفناوى: ص٩١،٩٢ .

(٥) المثل السائر: لابن الأثير:١ / ٧٩ .

لإزالة الشك فى وجوده، والاستدلال على صحته وإمكان حصوله ٠ كقول المتنبى مادحا سيف الدولة:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأَنْتَ مِنهُم فإن المسكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

بينما وظيفة الكناية فى التعبير" ترتبط كثيرا بالإقناع العقلى، الذى يتمثل فى إيجاب الشىء عن طريق البينة، وإثبات الصفة وباثبات دليلها، فهى أقرب إلى الحجاج العقلى منها إلى التعبير الوجدانى٠٠٠فإن الكناية بنت الفكر، بينما التشبيه والاستعارة من بنات الوجدان"(١) ٠

فإذا قلت مثلا: زيد طويل النجاد، كناية عن طول القامة، فكأنك تقول: زيد طويل القامة ؛ لأنه طويل النجاد ٠

(جـ) الغموض الفنى:الصورة البيانية لا تقدم مضمونها غالبا فى صورة تقريرية مكشوفة، بل تعتمد على الإيحاء بالمعنى، وتظليله بستار فنى جميل من الغموض الذى يشف ولا يحجب، مما يكون دافعا للمتلقى إلى الغوص فى أعماق النص، وإمعان النظر فيما تشعه كلماته المنظومة من دلالات، حتى يصل إلى المعنى المراد، فإذا ما وصل إليه شعر بقمة اللذة الحسية والذهنية، ومن ثَم يتم التواصل والمشاركة بين قائل النص ومتلقيه، لهذا فإن هذا الضرب من الغموض ينم عن قدرة فنية فذة لدى الأديب، يقول عبد القاهر: "المعنى إذا أتاك ممثلا، فى الأكثر ينجلى لك بعد أن يحوجك إلى غير طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له، والهمة فى طلبه، وما كان منه ألطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ومن المركوز فى الطبع أن الشىء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ"(٢)٠

(د) **الإيجاز البديع:** الصورة البيانية شديدة الميل إلى التركيز وإيجاز العبارة؛ إذ تعتمد على تكثيف المعنى وإيصاله بشكل مركز دون مزيد من الشرح والإطالة،

---

(١) التشبيه والكناية بين التنظير البلاغى والتوظيف الفنى: ص١٧٣ ٠
(٢) المصدر السابق: ص١٢٦ ٠
(٣) أسرار البلاغة: ص ٤١ ٠

وذلك من خلال حذف زوائد الكلام، والاكتفاء بالكلام المجمل الذى يطوى وراءه كثيرا من التفصيل والتفريع، والاعتماد على اللمح بواسطة القرائن، يقول الإمام عبد القاهر عن الاستعارة: " ومن خصائصها التي تذكر بها، وهى عنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر "(١).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾(٢)، ففى التعبير بكلمة "الحرث" كناية عن المعاشرة الزوجية " ألوان من التناسق الظاهر والمضمر ، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة، وأدق ما فيه هو ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه فى هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذى يخرجه الحرث ، وذلك النبت الذى تخرجه الزوج ؛ وما فى كليهما من تكثير وعمران وفلاح، وكل هذه الصور تنطوى تحت استعارة فى بضع كلمات " (٣).

(هـ) المبالغة المقبولة: تعتمد الصور البيانية فى عرض المعانى وتصويرها ـ غالبا . على الوصف الخيالى المعتدل، والمبالغة المباحة، والتى لا تخرج عن الحدود التى رسمها العرف والذوق السليم، طالما كان الشعور صادقا.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(٤)، فقد أطلق السبب وهو " البغضاء "، و أريد منه المسبب وهو الكلام الدال على الكراهية، انظر إلى" المبالغة فى الكلام الدال على العداوة، وتصويره بصورة البغضاء ؛ للإشعار بأن الذى بدا من أفواههم هو ذات البغضاء، على الرغم من محاولتهم إخفاءها فى صدورهم، وذلك دليل على أنها قد تمكنت من قلوبهم، وملأت نفوسهم، حتى أبت إلا أن تفيض، فتنحدر من ثنايا أفواههم " (٥).

---

(١) البقرة : ٢٢٣.

(٢) البقرة: ١٩ .

(٣) التصوير الفنى فى القرآن: للأستاذ / سيد قطب: ص ٤١ .

(٤) آل عمران: ١١٨ .

(١) البلاغة التطبيقية: د/ أحمد موسى: ص٢٦٦،٢٦٧ .

وقولـه تعـالى:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[١]، فأصحاب الصيب لا يضعون أطراف أصابعهم فقط فى آذانهم كما هو المعتاد، لكنهم يحاولون وضع كامل أصابعهم فى الآذان ؛ مبالغة فى الاحتراز عن سماع جلجلة الصواعق، والإقبال على سد المنافذ التى يمكن أن ينفذ منها دوى هذا الرعد ؛ وهذا يعكس لنا شدة ما أصابهم من الذعر والهلع والخوف ومدى الدهشة التى انتابتهم، وحرصهم الزائد على الحياة، ومن شدة الدهشة والخوف أقدموا على فعل تلك الأمور المخيفة التى لا يمكن للمرء أن يفعلها فى الظروف الطبيعية، وهكذا حال المنافقين إذا نزل القرآن أو تليت عليهم آياته يسدون آذانهم ؛ لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان ويتركوا دينهم، أو خوفا من نزول آيات تفضح أمرهم، وتكشف نفاقهم، فهو عندهم موت.

التعريف بابن علان[٢]

(٩٩٦-١٠٥٧هـ = ١٥٨٨-١٦٤٧م)

اسمه ومولده:

هو محمد على بن محمد علان بن إبراهيم بن محمد بن علان بن عبد الملك بن على بن مجدد المائة الثامنة . كما هو مشهور على الألسنة والأفواه، الشيخ المحقق الطيبى والخطيب التبريزى صاحب المشكاة على بن مبارك شاه . البكرى الصديق العلوى سبط آل الحسن، الشافعى... كانت ولادته فى مكة وذلك فى العشرين من صفر سنة ست وتسعين وتسعمائة .

نشأته:

---

(٢) البقرة: ١٩ .

(٣) ينظر ترجمته فى: خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر: للمحبى: ٤/ ١٨٤: ١٨٩، والأعلام: للزركلى: ٦/٢٩٣، ومعجم المؤلفين: عمر كحالة:١١/٥٤، ٥٥، هدية العارفين: للبغدادى: ٢/ ٢٨٣.

لم تذكر المصادر المترجمة لابن علان . فيما تيسر لنا منها . شيئاً ذا بال عن نشأته، ولا تكاد تبين عن أطوار حياته الأولى، إلا أنهم أشاروا إلى أن ابن علان ولد بمكة، ونشأ وتوفى بها، وهذا يستشف منه أنه لم يغادر مكة ولم يبرح أرضها إلى غيرها من البلدان ؛ أو على أقصى تقدير ربما يكون قد خرج من مكة إلى أماكن قريبة منها، وهذا أمر ليس مستغربا، لاسيما إذا عرفنا أن الحرم المكى فى موسم الحج بالإضافة إلى أنه محل للعبادة والسعى إلى التقرّب من اللّه زلفى، ونيل خيره وهديه ومغفرته . فإنه كان موطنا للقاء بين العالم والمتعلم، ومكانا لتلقّى المعرفة والتفقّه، حيث يَقدُم الوافدون إلى مكة فيهدون إليها علما واسعا، ومعارف نافعة من ثقافاتهم وعلومهم ؛ لذا فقد أصبحت مكّة المكرمة بحق عاصمة ثقافيّة، ولقاء العلماء فيها مؤتمرا سنويا مباركا ومفيدا ٠

ولاشك أن ابن علان قد استفاد من تلك البيئة الخصبة أيما استفادة، فاتصل أولا بثلة من خيرة أساطين علماء مكة، ولازم مجالسهم، واغترف من فيوضات علمهم التى تنداح منهم انديا‌حا، حيث رُزق ابن علان منذ صغره الإقبال على طلب العلم، وحب المطالعة، كما تميز بصفاء النفس، وقدرته الكبيرة على الحفظ، ونتيجة تضافر هذه العوامل فقد آتت ثمارها مبكرا، فحفظ القرآن بالقرآات، وحفظ عدة متون فى كثير من الفنون، ومن هؤلاء العلماء الذين لازمهم وأخذ عنهم: الشيخ عبد الرحيم بن حسان فقد أخذ عنه النحو، وقرأ عليه شرح الأجرومية الأزهرى، وشرح القواعد له، وشرح ألفية ابن مالك للسيوطى، وعن الشيخ عبد الملك العصامى قرأ عليه شرح القطر للمصنف، وشرح الشذور للمصنف، وأخذ عنه علم العروض والمعاني والبيان، وأخذ القرآات والحديث والفقه والتصوف عن عمه الإمام العارف بالله تعالى أحمد، وعن المحدث الكبير محمد بن محمد بن جار الله بن فهد الهاشمى، والسيد عمر بن عبد الرحيم البصرى، والصدر السعيد كمال الإسلام عبد الله الخجندى ٠

وثانيا: كان جحافل المثقفين الوافدين معينا صافيا نهل منه ابن علان ؛ لذا يطالعنا أصحاب التراجم بأنه قد روى صحيح البخارى وغيره من كتب السنن إجازة عن كثير من الشيوخ الوافدين إلى مكة، كالشيخ العارف بالله تعالى الولى جلال الدين عبد الرحمن بن محمد الشربينى العثماني الشافعى، وعن العلاة الحسن

البورينى الدمشقى، وعن مفتى الحنفية بمصر الشيخ عبد الله النحروى، وعن محدث مصر محمد حجازى الواعظ إجازة منه فى سنة عشرين وألف ٠

وكان لتلك البيئة الغاصة بالعلم والعلماء من أهل مكة وغيرهم من مختلف الأمصار، بالإضافة إلى ما يتميز به ابن علان من سرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم، كان لهذا أثره البالغ فى نبوغه مبكرا فى العلم وتفوقه فيه ؛ لهذا نجده قد ألَّف وتصدر للإقراء وله من السن ثمانية عشر عاماً، وباشر الإفتاء وله من السن أربع وعشرون سنة٠

مواقف من حياته:

لقد حفلت حياة الرجل بمواقف عديدة مشرقة، ترددها الأجيال عبر القرون فى إعظام وإكبار، وهذه المواقف لا شك وأنها ثمرة من ثمار تفانيه فى خدمة الدين والذود عنه، و حبه للعلم وإخلاصه له، فقد قام بتفسير كتاب الله، كما كان من أفراد أهل زمانه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ، وجمع بين الرواية والدراية والعلم والعمل، وإليك بعض هذه المواقف فى تلك السطور القليلة:

فقد حكى تلميذه الفاضل محمد النبلاوى الدمياطى نقلا عنه: أنه قال: رؤى النبىﷺ فى المنام وهو يعطى الناس عطايا، فقيل له: يا رسول الله، وابن علان؟ فأخذ يحثو له بيده الشريفة حثيات ٠

وقال المترجم أيضاً: أخبرنى بعض الصالحين عن بعضهم فى عام سبع وثلاثين وألف، أنه رأى النبى ﷺ فى المنام، ليلة السادس والعشرين من رجب، على ناقته عند الحجون، سائر إلى مكة، فقبَّل يده الشريفة الكريمة، وقال: يا سيد المرسلين، يا رسول الله، الناس قصدوا حضرتك الشريفة للزيارة، فلماذا وصلت ؟ قال: لختم صحيح البخارى، أو لختم ابن علان، شك الرائى، ثم يوم الختم الثامن والعشرين من رجب ذلك العام، حضر بعض الصالحين، فحصلت له واقعة، رأى خيمة خضراء بأعلى ما بين السماء والأرض، فسأل، فقيل: هذا النبى ﷺ حضر ؛ لختم البخارى٠

وقرأ صحيح البخارى في جوف الكعبة أيام بنائها، لما انهدمت فى سنة تسع وثلاثين من جهة الحطيم، بسبب مجىء السيل، وقد اتفق له أنه قارب ختم الصحيح، وكان البناؤن قد جعلوا لهم ستراً حال التعمير، فخطر له أن يدخله، ويختم فيه، ويشرب فيه القهوة، ففعل، فوشى بعض أعدائه إلى الشريف، وقالوا: إنه

قد جعل بيت الله حانة للقهوى، فأغضبوا الشريف عليه، فأرسل فى الحال أحضره، وحبسه، وأراد أن يوقع به أمراً، فأخذ يتلو القرآن، ويتوسل إلى الله ـ تعالى ـ بنبيه أن يكشف عنه هذا الكرب، فاتفق أن الشريف كان قام إلى صلاة المغرب وهو بقصره، فاهتزت أركان القصر، وظن السامعون أنها زلزلة وقعت، فنادى الشريف وزيره، وسأله عن الأمر، فأجابه أنها كرامة للشيخ ابن علان، فلما سمع مقالته قال له: كيف يكون حالنا معه وقد فعلنا به هذه الفعلة ؟ فقال: السبيل إلى أخذ خاطره إطلاقه الساعة، فناداه إليه، واستعفى مما فعله به، وأنعم عليه، فاعتذر ابن علان أن ما وقع منه كان هفوة، فلما كان عند الصباح وجده أعداؤه طائفاً بالبيت، وكانوا يظنون غير ذلك.

وعلى كل حال ففضل ابن علان وشرف قدره مما شاع وذاع، وملأ الدنيا والأسماع

شعره:

لابن علان نظم فائق، وأشعار حسان، تتسم بسلاسة الأسلوب، وعذوبة المعنى، منها: تشطير الهمزية وتخميسها، كما خمس قصيدة الشيخ أبى مدين ـ قدس سره ـ وذيلها، ومن أشعاره الكثيرة: قوله فى بئر زمزم:

وزمزم قالوا فيه بعض ملوحة ومنه مياه العين أحلى وأملح
فقلت لهم: قلبى يراها ملاحة فلا برحت تحلو لقلبى وتملح

وله مضمنا:

كتبته ولهيب الشوق فى كبدى والدمع منسكب والبال مشغول
وقلت: قد غاب من أهواه وا أسفى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ومن إملائه لنفسه قوله فى عقد الحديث:

إذا أمسيت فابتدر الصياحا ولا تمهله تنتظرالصباحا
وتب مما جنيت فكم أناساً قضوا نحباً وقد ناموا صحاحا

وأنشد له بعضهم هذه الأبيات فى الزهد:

الموت بحر موجه طافح يغرق فيه الماهر السابح
ويحك يا نفس قفى واسمعى مقالة قد قالها ناصح
ما ينفع الإنسان فى قبره إلا التقى والعمل الصالح

تلاميذه:

لقد انتصب ابن علان للتدريس، وتصدر للإفادة فى سن مبكرة، فنفع الناس بعلمه، حتى أصبح من أكابر علماء العامة، وأخذ عنه جماعة كثيرون. يطول شرحهم، ولا يمكن إحصاؤهم، فبرزوا بعده مقتدين بخطواته فى التأليف والنصح والإخلاص، ومن هؤلاء:

١. الدرا (١٠٢٨ – ١٠٦٥هـ = ١٦١٩ – ١٦٥٥م): محمد بن نور الدين بن محمد الدرا: أديب، له شعر، حج، وجاور، وأخذ بمكة عن ابن علان الصديقى، وقرر له بعد ذلك السفر إلى مصر، مولده ووفاته بدمشق [١].

٢. الفيومى (...– ١٠٧١ هـ =... – ١٦٦١م): عبد البر بن عبد القادر بن محمد العوفى الفيومى: أديب، له نظم، من أهل الفيوم (بمصر) تعلم فى القاهرة، ورحل إلى مكة ، وأخذ عن ابن علان الصديقى، وكتب له إجازة مؤرخة بأواخر ذى الحجة سنة اثنتين وأربعين وألف، ورحل إلى والشام، وقصد بلاد الروم فولى فيها مناصب، وتوفى معزولا فى القسطنطينية [٢].

٣. محمد حمزة (١٠٢٤ – ١٠٨٥هـ = ١٦١٥ – ١٦٧٤ م): محمد بن كمال الدين بن محمد الحسينى الحنفى، من آل حمزة، نقيب الشام وصدرها فى عصره، كان شاعرا فاضلا، له علم بالحديث والأدب. وفقه الحنفية، مولده ووفاته فى دمشق. ولما حج سنة ألف وخمسين حضر ابن علاَّن، وأجازه بما تجوز له روايته[٣].

٤. ابن بيرى (١٠٢٣ – ١٠٩٩هـ = ١٦١٤ – ١٦٨٨م): إبراهيم بن حسين بن أحمد بن بيرى: فقيه، حنفى، ولى الإفتاء بمكة، وأخذ الحديث عن ابن علان، ولد فى المدينة ومات بمكة [٤].

---

(١) الأعلام:١٢٦/٧ .
(٢) السابق: ٢٧٣/٣ .
(٣) السابق: ١٥/٧ .
(٤) السابق: ٣٦/١ .
(٥) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر: للمرادى:١٧٢،١٧١/١ .

٥. أبو المواهب (١٠٤٤ – ١١٢٦ هـ = ١٦٣٤ – ١٧١٤ م): محمد بن عبد الباقى بن عبد القادر الحنبلى البعلى الدمشقى، أبو المواهب، مفتى الحنابلة بدمشق، مولده ووفاته بها، أجازه الشيخ محمد بن علان [١].

٦. أحمد النخلى (١٠٤٠ – ١١٣٠هـ = ١٦٣٠ – ١٧١٧ م): أحمد بن محمد بن أحمد بن على، الشهير بالنخلى الصوفى النقشبندى، المكى، الشافعى، الإمام العالم العلامة المحدث الفقيه، أبو محمد شهاب الدين، وفاته بمكة، ومن مشائخه محمد ابن علان الصديقى[٢].

مؤلفاته:

ألف ابن علان كتباً كثيرة فى عدة فنون تزيد على الستين، وتآليفه كلها غرر، فمنها:(ضياء السبيل إلى معالم التنزيل، ورفع الالتباس ببيان اشتراك معانى الفاتحة وسورة الناس، والوجه الصبيح فى ختم الصحيح، وفتح الكريم القادر ببيان ما يتعلق بعاشوراء من الفضائل والأعمال والمآثر، وفتح الوهاب بنظم رسالة الآداب للعضد، وحسن العناية بالكفاية، وشرح الأذكار للنووى، ورياض الصالحين، ودرر القلائد فيما يتعلق بزمزم وسقاية العباس من الفوائد، وفتح الفتاح في شرح الإيضاح، وتحفة ذوى الإدراك في المنع من التنباك، وأعلام الإخوان بتحريم الدخان، والابتهاج فى ختم المنهاج، ورشف الرحيق من شرب الصديق، وحسن النبا فى فضل قبا، وزهر الربا فى فضل مسجد قبا، والنفحات الأحدية تصدير وتعجيز الكواكب الدريه، والعلم المفرد فى فضل الحجر الأسود، وإتحاف أهل الإسلام والإيمان بيان أن المصطفى ﷺ لا يخلو عنه زمان ولا مكان، وشمس الآفاق فيما للمصطفى ﷺ من كرم الأخلاق، وخاتم الفتوة فى خاتم النبوه٠٠٠) ٠

وفاته:

توفى ابن علان نهار الثلاثاء لتسع بقين من ذى الحجة، سنة سبع وخمسين وألف، ودفن بالمعلاة، بالقرب من قبر شيخ الإسلام ابن حجر المكى، وبوفاة هذا العالم الإمام انطوت صفحة مضيئة من صفحات التاريخ العلمى، وأبقى من بعده مصنفات نافعة، يبقى نفعها . بإذن الله . إلى يوم القيامة٠

صــورالبيان

(١) الأعلام: ١/ ٢٤ ٠

التشبيه

بادئ ذى بدء نود التنويه إلى أن التشبيه له اللطائف العجيبة، والاعتبارات الدقيقة، مما جعله موضع اهتمام بيانى لدى القدماء والمحدثين على السواء، فهذا أبو هلال العسكرى يقول: " والتشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، تأكد منها فى الصناعتين جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة " (١).

ويقول الأستاذ / البرقوقى عن التشبيه: " فهذا الضرب من البيان . التشبيه . على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، فى الإبداع و الإحسان والاتساع فى طرق البيان، وأن يضع الكلام بعيد المرام، قريبا من الأفهام، ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يشبه الجواد بالبحر، والشجاع بالأسد، والحسن بالشمس، وما ماثل ذلك مما اشتهر أمره، وجرى لذلك مجرى الحقيقة، وإنما هو يدق ويلطف حتى يأتيك بما يخلب القلوب، ويرقص الهام، وحتى يخرج مثله عن طوق البشر جميعا " (٢).

والتشبيه يعنى فى اللغة: التمثيل، يقال: هذا مثل هذا وشبهه. وفى اصطلاح البلاغيين: الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة ؛ لغرض يرمى إليه المتكلم . نحو: خالد كالأسد فى الإقدام.

ونقف هنيهة إزاء هذا التعريف ؛ لنبين تصور ابن علان لحقيقة هذا المصطلح البيانى، وذلك من خلال ما يأتى:

١. التشبيه يعنى التشابه لا التماثل:

التشبيه عند علماء البلاغة هو: إلحاق أمر بأمر فى صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه فهذا التعريف يبين لنا طبيعة العلاقة بين طرفى التشبيه، فالشىء يشبه الشىء من وجه أو أكثر، لا من جميع جهاته، فالعلاقة إذا قائمة على التشابه والمقاربة وليس الاتحاد والمماثلة، خلافا للرمانى الذى يعد التشبيه نوعا من

(١) الصناعتين:لأبى هلال العسكرى: ص٢٦٥.

(٢) شرح البرقوقي على التلخيص: للشيخ/عبد الرحمن البرقوقى : ص٢٤٢.

المماثلة، فتراه يعرف التشبيه بقوله: " نوع من العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل " [١].

والإحساس بتمايز طرفى التشبيه قد بدا عند ابن علان فى أكثر من موطن، ففى تعقيبه على التشبيه الوارد فى الحديث الشريف الذى رواه جرير بن عبد الله البجلى ﷺ، حيث قال: كنا عند النبى ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: ((**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون** [٢] **فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**)) [٣].

ترى ابن علان يقول: " التشبيه فى أصل الرؤية وانجلائها فى كل من المشبه والمشبه به، لا من كل وجه ؛ إذ القمر مرئى، وهو فى جهة باتصال شعاع من الرائى به وإدراك له، واللّه ﷻ منزه عن جميع ذلك، والمخاطب بذلك المؤمنون، فالكفار محجوبون عن رؤيته تعالى، لا فرق فيه بين منافقيهم وغيرهم، على الصحيح الذى عليه الجمهور من أهل السنة"[٤].

فابن علان كما هو واضح يرى أن التشبيه لا يقتضى التسوية بين الطرفين من كل وجه، فهذا فيه تشبيه الرؤية بالرؤية، أى تشبيه رؤية الله ﷻ عيانا رؤية محققة بلا مشقة ولا خفاء، برؤية القمر ليلة تمامه ليس دونه سحاب، ووجه الشبه كمال الظهور والبهاء فى كل، ورؤيته ﷻ منزهة عن الجهة والمقابلة والصورة والهيئة، رؤية تليق بذاته، وكما يريد أن تكون، وليس المراد تشبيه المرئى بالمرئى .

---

(١) النكت ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن: للرمانى: ص ٦٠ .

(٢) لا تضامون . بضم التاء والتشديد معناه: لا تجتمعون لرؤيته فى جهة ولا يضم بعضكم إلى بعض، ومعناه بالفتح والتشديد:الأصل لا تتضامون في رؤيته باجتماع في جهة، وبالتخفيف: معناه لا ينالكم ضيم أى ظلم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، فإنكم ترونه فى جهاتكم كلها وهو متعال عن الجهة . ينظر: فتح البارى: لابن حجر: ٤٢٧/١٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (فضل صلاة العصر):٢٠٣/١، ح ٥٢٩، وباب (قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة):٢٧٠٣/٦، ح٦٩٩٧ .

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: لابن علان: ٥٥٢/٣ .

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فالله منزه عن الشبيه، وفى هذا التشبيه رد على المعتزلة الذين أنكروا هذه الرؤية.

كما أن التشبيه يعنى أيضا عند ابن علان يقوم على المقاربة بين طرفى التشبيه فى بعض الوجوه ؛ إذ ليست الصفة التى اشترك فيها الطرفان على قدر سواء فيهما، وإلا عُدَّ ذلك تشابها لا تشبيها، ففى قول كعب بن مالك ﷺ: **((وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر))** [(١)].

يقول ابن علان : " آثر ذكر القمر ؛ لأنه يتمكن من النظر إليه، ويؤنس من شاهده من غير

أذى يتولد عنه، بخلاف الشمس لأنها تعشى البصر وتؤذى، ثم تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس جرى على عادة الشعراء والعرب فى ذلك، أو على سبيل التقريب والتمثيل، وإلا فلا شىء يعادل شيئاً من أوصافه .**قيل:** شبه وجهه في هذا الحديث بقطعة من القمر لا بكله مع أن المعهود فى التشبيه الثانى ؛ لأن القصد الإشارة إلى موضع الاستنارة وهو الجبين، وفيه يظهر السرور فناسب أن يشبه ببعض القمر ... ولكون مراد كعب ﷺ تشبيه بعض وجهه . وهو جبينه . إذا سر لم يشبهه بجميع القمر، وجاء فى حديث آخر عنه تشبيه وجهه كله بدارة القمر، فلزمه تشبيه بعضه ببعضه، وهذا أحسن مما قيل: سبب الاقتصار فى التشبيه على بعض القمر الاحتزاز عما فيه من السواد ؛ لأن كون وجه التشبيه بالقمر ما فيه من الإضاءة والملاحة لا يخفى على أحد، ولا يتوهم خلافه، فلا حاجة للاحتراز " [(٢)].

٢. التشبيه والتمثيل عند ابن علان:

اختلف البلاغيون فى المراد بكل من مصطلحى " التشبيه " و" التمثيل "، فالإمام عبد القاهر يرى أن **(التمثيل):** ما كان وجه الشبه فيه أمرا غير بين بنفسه،

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (خاتم النبوة):٣/١٣٠٥، ح ٣٣٦٣، وباب (غزوة تبوك):٤/١٦٠٧، ح ٤١٥٥.

(٢) دليل الفالحين: ١ / ١٢٥ .

بل يحتاج فى تحصيله إلى تأول وصرف عن الظاهر ؛ لأن المشبه غير مشارك للمشبه به فى حقيقة وجه الشبه الظاهرى، بل فى مقتضاه ولازمه، ويتحقق هذا فى الوجه العقلى غير الحقيقى مفردا كان أو مركبا، بينما **(التشبيه)**: هو ما كان وجه الشبه فيه بينا ظاهرا لا يحتاج فى إدراكه إلى تأول وصرف عن الظاهر ٠ وعلى هذا يشمل التشبيه أمرين: الأول: ما كان وجه الشبه فيه حسيا مفردا كان أم مركبا ٠ الثانى: ما كان فيه وجه الشبه عقليا حقيقيا (أى متحققا بذاته فى الطرفين) ٠[١]

أما العلامة السكاكى فقد خص **(التمثيل)**: بما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا غير حقيقى، وما عداه فهو **(التشبيه)** [٢]٠

بينما ذهب الخطيب القزوينى إلى أن **(التمثيل)**: ما كان وجه الشبه فيه مركبا، سواء أكان الوجه عقليا أم حسيا، وما عداه فهو **(التشبيه)** [٣]٠

لكن السيد الجرجانى ارتأى له أن **(التمثيل)**: ما كان طرفا التشبيه فيه مركبين [٤]٠

أما رأى ابن علان فى " التشبيه " و" التمثيل " فإننا نستطيع أن نستشفه من تعقيبه على الحديث الذى رواه أبو حمزة أنس بن مالك الأنصارى ﷺ. خادم رسول الله ﷺ. قال: قال رسول الله ﷺ: **((لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة))**[٥]٠

فقد قال ابن علان مبينا نوع التشبيه الوارد فى الحديث:" أو هو تشبيه مركب عقلى من غير نظر إلى مفردات التركيب، بل تؤخذ الزبدة من المجموع فتكون غايته ونهايته، وفائدة إبرازه في صورة التشبيه تقرير المعنى فى ذهن السامع ؛ أو تمثيلى بأن يتوهم للمشبه الحالات التى للمشبه به وينتزع له منها ما يناسبه " [٦]٠

---

(١) أسرار البلاغة: ص ٨٠ وما بعدها ٠
(٢) مفتاح العلوم: للسكاكى: ص٣٤٦ ٠
(٣) الإيضاح: للخطيب القزوينى: ص ١٤١ ٠
(٤) حاشية السيد الجرجانى على المطول: ص٣٣٨ ٠
(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (التوبة): ٢٥٢٣/٥، ح ٥٩٥٠ ٠
(٦) دليل الفالحين: ١ /٨٤، ٨٥ ٠

بداية نشير إلى أن ابن علان يرى أن التشبيه الوارد فى الحديث السابق يحتمل عده من قبيل التشبيه التمثيلى أو من غير التمثيلى، وهذا الاحتمال إنما مرده إلى اختلاف العلماء فى إطلاق معنى الفرح فى جانب المولى ﷻ [1]، فمذهب السلف يرون فى أمثال هذا الحديث إمرارها وحملها على ظواهرها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل، وعلى هذا المذهب يكون المراد تشبيه فرح الله ﷻ بتوبة عبده الذى أسرف على نفسه، ورجوعه إلى طاعته، وامتثال أمره، والتى ينوى بها وجه الله ﷻ لا غير: أشد من فرح إنسان كان على راحلته التى يركبها، وهو بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، ثم انفلتت منه الراحلة بغير قصده، حال كونها عليها طعامه وشرابه، فله احتياج إليها لوجهين: ركوبها، وكون زاده عليها، فأيس من العثورعليها ؛ لمبالغته في لحوقها أو فى التفتيش عنها، وحينئذ استسلم للموت لحضور أسبابه، فبينما هو كذلك آيس مستسلم إذ وقع على بعيره، وصادفه من غير قصد فى مكان لم يكن يرجو أن يجدها فيه، فأخذ بخطامها ٠

ووجه الشبه حينئذ . وهو فرح شىء بعودة شىء آخر إليه بعد ضلاله . يكون مركبا عقليا حقيقيا ؛ لأنه متحقق بذاته فى الطرفين، لذا فابن علان يطلق على هذا النوع من الوجه مصطلح (**التشبيه**) وليس معدودا لديه من التمثيل كما أشار ٠

بينما يرى فريق من العلماء أن الفرح . الذى هو من صفات المخلوقين . محال عليه تعالى ؛ لأنه اهتزاز وطرب يجده الشخص من نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به نقصانه، ويسد به خلته، أو يدفع به عن نفسه ضررا أو نقصا، وكل ذلك محال على الله تعالى، فإنه الكامل بذاته، الغنى بوجوده، الذى لا يلحقه نقص ولا قصور ؛ وعلى هذا المذهب يكون وجه الشبه وهو . فرح شىء بعودة شىء آخر إليه بعد ضلاله . مركبا عقليا وهميا ؛ لأنه متحقق فى المشبه به دون المشبه، لذا وجب إعمال الفكر لإيجاد وجه شبه يكون له وجود حقيقى فى الطرفين على السواء، فيقال: إن إطلاق الفرح فى حق الله مجاز عن رضاه، وعليه يكون المراد هنا أن الله ﷻ يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة، ويكون

(١) ينظر: تحفة الأحوذى: لأبى العلا المباركفورى: ٩ /٣٦٦ ٠

وجه الشبه المتحقق فى الطرفين حينئذ هو: الرضا التام المترتب على عودة شىء قد ضل طريقه، وهذا النوع من التشبيه يطلق عليه ابن علان مصطلح **(التمثيل)** ٠ فقد اتضح لنا من التعقيب الذى عقب به ابن علان على الحديث الشريف، والبيان الذى أمطنا به اللثام عن مقصوده، أنه يطلق مصطلح **(التمثيل)** على كل تشبيه كان وجهه مركبا عقليا وهميا (غير حقيقى)، وما عداه يعد تشبيها، وهو بذلك يحذو حذو العلامة السكاكى ٠

ومن التشبيه التمثيلى عند ابن علان قوله تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** (١)٠

يرى ابن علان أن هذا مثل ضربه الله ﷻ للصحابة قلوا فى بدء الإسلام ثم كثروا، واستحكموا فترقى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس، بصورة زرع أخرج فراخه، وتفرع فى جانبيه فقواه وأعانه، فصار من الرقة إلى الغلظ، فاستقام على قصبه وأصوله، يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره (٢)٠

ووجه الشبه هو: الهيئة الحاصلة من تحول شىء من حالة إلى حالة أحسن منها٠ لكن الزمخشرى يرى أن هذا مَثَل للرسول ﷺ وأصحابه، لا لأصحابه فقط ؛ إذ يقول: " وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه فى الزيادة إلى أن قوى واستحكم ؛ لأنّ النبى ﷺ قام وحده، ثم قوّاه الله بمن آمن معه، كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرّاع"(٣)٠

وفى ختام حديثنا عن التفرقة بين " التشبيه " و" التمثيل " لعلك تلاحظ معى أن هذه التفرقة قائمة على مدى احتياج الوجه فى الوصول إليه لإعمال فكر وإلطاف رويه ؛ لذا يقترح أحد الدارسين أن التفرقة بينهما ينبغى أن تكون على هذا النحو:

---

(١) الفتح: ٢٩ ٠
(٢) دليل الفالحين:٢ / ٢٤٨، ٢٤٩ (بتصرف) ٠
(٣) الكشاف: للزمخشرى: ٤ / ٣٤٨ ٠

التمثيل: هو ما كان الوجه فيه دقيقا، لا يفطن إليه إلا أصحاب لأذواق السليمة الذين ارتقوا بها عن طبقة العامة، ويتأتى هذا فى كل تشبيه كان الوجه فيه (مفردا عقليا غير غرزى، أو مركبا عقليا، أو مركبا حسيا) ، أما **التشبيه:** فما كان وجه الشبه فيه بينا لا يحتاج إلى تأمل، ويتأتى فى كل تشبيه كان وجه الشبه فيه (مفردا حسيا، أو مفردا عقليا حقيقيا) (١).

٣. بين التشبيه والاستعارة:

تطرق ابن علان الى الفارق بين التشبيه والاستعارة، وذلك فى إطار تعقيبه على التشبيه الوارد فى الحديث الذى رواه أبوسعيد الخدرى ﷺ، عن النبى ﷺ قال: **((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء))** (٢).

يقول ابن علان: " فشبه الدنيا للرغبة فيها والميل إليها بالفاكهة الحلوة الخضرة، فإن الحلو مرغوب فيه من حيث الذوق، والأخضر مرغوب فيه من حيث النظر، فإذا اجتمعا زادت الرغبة. وفيه إشارة إلى عدم بقائها وهو من التشبيه المطوى فيه الأداة، **قيل:** والفرق بين هذا النوع والاستعارة أن هذا لا يتغير حسنه إذا ظهرت الأداة، فإن قولك: المال خضرة فى الحسن كقولك: المال كالخضرة، ولا كذلك الاستعارة، فإن قولك: رأيت أسداً يرمى، ليس كقولك: رأيت رجلاً كأسد، ذكره العاقولى" (٣).

وهذا النص يكشف لنا أمرين: **الأول:** أن ابن علان شأنه شأن غير واحد من علماء البلاغة خلط بين التشبيه والاستعارة، فما عده تشبيها مطويا فيه الأداة هو فى حقيقة الأمر من قبيل الاستعارة المكنية، التى طوى فيها ذكر المشبه به

(١) نظرات فى التمثيل البلاغى: د/ محمود شيخون: ص١١، ١٢ (بتصرف) .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثرأهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء):٤/٢٠٩٨، ح ٢٧٤٢ .

(٣) دليل الفالحين: ١ /٢٥١ .

(المستعار منه) حتى لم يعد مذكورا بوجه من الوجوه، ألا وهو الفاكهة، وقد رمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله ﷺ:" حلوة خضرة "٠

الثانى: أن ابن علان ـ من خلال الفارق الذى نقله عن العاقولى وإقراره إياه ـ يسوِّى بين التشبيه الذى حذفت فيه الأداة فى نحو: المال خضرة فى الحسن، وبين ما حذف منه الوجه فى نحو: المال كالخضرة فى قوة المبالغة،، وهو بذلك يذهب مذهب الخطيب القزوينى ومن لف لفه(١)، لكن ابن يعقوب المغربى لم يسوِّ بينهما ؛ إذ يرى أن التشبيه المحذوف الأداة أقوى فى إفادة المبالغة ؛ لأن حذفها يقتضى تماثل الطرفين حتى صارا شيئا واحد فى الصفة الجامعة بينهما، أما محذوف الوجه فهو وإن أفاد دعوى عموم الاشتراك بين الطرفين فى جميع الصفات، فإن مما يضعف هذا الادعاء بقاء التباين بينهما والمفاد من ذكر الأداة (٢)٠

الثالث: أن ابن علان قد أشار إلى ما أفادته هذه الصورة، والذى يكمن فى أمرين: أحدهما: أن هذه الحياة الدنيا فى لذتها ونضارتها كالفاكهة الحلوة الخضراء، فالدنيا مشتهاة مونقة تعجب الناظرين إليها، وقد جعلها الله كذلك ؛ ابتلاء لنا، فينظر ماذا نحن فاعلون فيها؟ أنتصرف فيها بما يرضى الله أم بغيره؟ الآخر: أن هذه الحياة الدنيا فى سرعة فنائها كالفاكهة الخضراء سريعة الذهاب والفناء، فعلى العاقل أن لا يركن إلى الدنيا، ولا يتخذها وطنًا، وأن يحذر من الاغترار بما فيها ؛ فإنه وشيك الزوال، بل عليه أن يقنع بالقليل منها، ويتخذها مجازا إلى الآخرة، ويتزود منها إليها بالطاعة والعمل الصالح.

رأى ابن علان فى (كأن):

إذا كان جمهور البلاغيون قد ذهبوا إلى أن (كأنَّ) موضوعة لإفادة معنى التشبيه على الإطلاق ، فإن ابن علان كان له رأى آخر، أفصح عنه فى تعقيبه على ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ من حديث طويل فى حق ثلاثة من بنى إسرائيل قال فيه: ((**ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد**

(١) الإيضاح: ص١٥١ ٠

(٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص:لابن يعقوب المغربى: ٣ / ٤٧٦ ٠

انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ به في سفرى، فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأنى أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا، فأعطاك الله؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت)) (١).

فقد ذهب ابن علان إلى أن إفادة (كأنَّ) معنى التشبيه ليس على إطلاقه ؛ إذ صرح بأنها قد تفيد معنى التحقيق، كما ورد فى قول المَلَك للأبرص: " **كأنِّى أعرفك** "، وقد استشف هذا المعنى من السياق التى وردت فيه، حيث قال: " الظاهر أن (كأنّ) فيه للتحقيق، وهو معنى أثبته الكوفيون وذكره ابن هشام فى «المغنى»، قال العلوى: وهو التحقيق، وأنشدوا عليه:

أَصبَحَ بَطْنُ مكةَ مُقشَعِرّاً كأَنَّ الأَرضَ ليسَ بها هشَامُ

أى: لأن الأرض " (٢).

ثم استأنف حديثه عن (كأن) مبينا كيف أفادت معنى التعليل، فيقول: " وإذا **قيل:** إذا كانت (كأن) للتحقيق فمن أين جاء معنى التعليل ؟ **فيقال:** إن الكلام معها فى المعنى جواب عن سؤال عن العلة مقدر، ومثله **﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم ﴾**(٣)، وأجيب أيضا بأن الكاف للتعليل، وأن للتوكيد، فهما كلمتان لا كلمة،ونظيره **﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾**(٤) أى: أعجب لعدم فلاح الكافرين" (٥).

ولم يقتصر ابن علان على الإدلاء برأيه بل استعرض آراء العلماء فى إفادة (كأن) معنى التشبيه، فقال: " وقال ابن السيد فى «شرح شواهد الجمل»: جرت عادة النحويين أن يجعلوا (كأن) للتشبيه حيث وقعت، وليس ذلك بصحيح، إنما تكون تشبيهاً محضاً إذا وقع في الخبر اسم ممثل به اسمها، ويكون الخبر أرفع من الاسم أو أحط منه نحو: كأن زيداً ملك، أو كأن عمراً حمار. أما إذا كان خبرها

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب(الزهد والرقائق):٤/٢٢٧٥،٢٢٧٦، ح ٢٩٦٤ .
(٢) دليل الفالحين: ١/ ٢٣٩ .وينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام:١/٢١٦
(٣) الحج: ١ .
(١) القصص: ٨٢ .
(٢) مغنى اللبيب: ١/٢١٦ .

فعلاً أو ظرفاً أو مجروراً أو صفة من صفات اسمها فإنها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسبان نحو: كأن زيداً قائم أو فى الدار، فلست تشبه زيداً بشىء هاهنا، وإنما تظن أنه قائم أو في الدار. انتهى بلفظه .

لكن الذى صححه ابن مالك وأبو حيان والرضى وغيرهم ما ذهب إليه الجمهور، من أن التشبيه لا يفارقها، وأن ما أوهم خلافه مؤول " [١].

والرأى الذى أميل إليه هو ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور/ محمد شادى، وهو أننا لا ينبغى أن نحتكم فى إفادة (كأن) معنى التشبيه إلى كون الخبر مشتقا أو جامدا، وإنما ينبغى أن يكون الحَكَم الفيصل فى ذلك هو طبيعة المعنى ودلالة السياق [٢]، وحسنا فعل ابن علان فى الوقوف على معنى (كأن) فى الحديث السابق، ومما يعضد أن الأمر لا يتعلق بجمود الخبر أو اشتقاقه قول السعد التفتازانى: " والحق أنه قد يستعمل عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه، سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا، نحو: كأن زيدا أخوك، وكأنه فعل كذا، وهذا كثير "[٣].

من صور التشبيه الواردة عند ابن علان:

(أ) ***التشبيه المقيد:*** هو التشبيه الذى يقيد فيه الطرفان أو أحدهما بالقيود التى تحقق كمال مقصود المتكلم .

ومنه ما رواه ابن عباس . رضى الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب))** [٤].

قال ابن علان: " (إن الذى ليس فى جوفه) أى ليس في قلبه إطلاقاً لاسم المحل على الحال، واحتيج لذكره ليتم التشبيه له بالبيت الخرب...وذلك بجامع أن القرآن إذا كان فى الجوف بأن حفظه أو بعضه يكون عامراً مزيناً بحسب قلة ما فيه

---

(٣) دليل الفالحين: ١/ ٢٣٩، ٢٤٠ .

(٤) أساليب البيان والصورة القرآنية: لأستاذنا الدكتور/ محمد إبراهيم شادى: ص٥٧ .

(٥) المطول على التلخيص: للتفتازانى: ص٣٢٨، ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص:٣/ ٣٨٦ .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: ١٨باب:١٧٧/٥، ح ٢٩١٣ .

وكثرته، وإذا خلا عنه الجوف بأن لم يحفظ منه شيئاً يكون شيئاً خرباً كالبيت الخالى عن الأمتعة التى بها زينته وبهجته٠٠٠وفيه تأكيد طلب حفظ القرآن والدأب فيه " [١]٠

لاشك التشبيه هنا تشبيهٌ رائع ؛ لأن الذى لا يحفظ شيئاً من القرآن شبهه النبى ﷺ بالبيت الخرب، والبيت الخرب الذى لا يعمر لا يمكن أن يسكن فيه أحد، فيعمره الغربان والبوم والحيوانات السائبة، ويدخل فيه الناس لقضاء الحاجة، وكذلك القلب الذى ليس فيه شىء من القرآن كالبيت الخرب الذى لا تنزله الملائكة ولا الرحمة، فيسكن فيه الشياطين وتقضى فيه حاجتها، وقد أشار ابن علان إلى القيد الوارد فى جانب المشبه، وهو الجار والمجرور المتمثل فى قوله ﷺ: " فى جوفه "، ليقابل " البيت " فى جانب المشبه به، ولو لم يذكر لفات الغرض المطلوب وهو تسليط الضوء على عمارة القلوب وبيان زينة الباطن، ولم يتوصل إلى وجه الشبه المراد وهو الهيئة الحاصلة من ترتب شىء على شىء، إذ لا يوجد ثمة علاقة بين الإنسان والبيت، وأيضا المشبه .وهو البيت .مقيد بكونه خربا، كما أبان ابن علان عن فائدة التشبيه وهى أن عمارة القلوب وزينتها لا تكون إلا بالحرص على تلاوة القرآن وحفظه، وليس ذلك فحسب ولكن ينبغى على المسلم تدبر معانيه والتأمل فى مطاويه، مما يكون دافعا إلى التفكير فى آيات الله وآلائه، فيزداد بذلك تصديقا وإيمانا، ويقينا واطمئنانا، مصداقا لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾** [٢] ٠

(ب) ***التشبيه المركب:*** هو ما كان فيه طرفا التشبيه أو أحدهما هيئة مؤلفة من متعدد على جهة الاتحاد ؛ لتكوين هيئة وصورة ٠

ومنه مارواه النعمان بن بشير . رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ قال: **((مثل القائم فى حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على**

(٢) دليل الفالحين: ٣ / ٤٩٤ ٠
(١) الأنفال: ٢ ٠

من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)) [1]٠

ذكر ابن علان أن المثل المضروب لم يقع فيه إلا ذكر فرقتين فقط، لكن هناك رواية أخرى ورد فيها " مثل المداهن "، وعلى هذه الرواية يكون بيان وجود الفرق الثلاث فى المثل المضروب على هذا النحو: إن الذين أرادوا غرق السفينة بمنزلة الواقع فى حدودالله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المداهن، ثم بعد ذلك يبين تفصيل التشبيه، فيقول: " هنا تشبيه حال مركبة بمركبة: أى صفة القائم في حدود الله بإقامتها والذب عن المحارم، فيحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، والواقع فى المحرمات وذلك بارتكابها، والساكت عن أهل المنكر، مما يكون ذلك سببا فى هلاكهما: كمثل قوم اقترعوا سفينة فأخذ كل واحد منهما سهماً منها بالقرعة لقطع النزاع ؛ نظرا لاشتراكهم فيها بملك أو إجارة، فصار بعضهم أعلاها و صار بعضهم أسفلها، فكان الذين صاروا في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا لما رأوا تأذّى أهل فوق من مرورهم: لو أنا خرقنا في نصيبنا من السفينة خرقاً نصل به إلى الماء، ولم نؤذ بمرورنا من فوقنا، فإن ترك أهل العلوّ أهل السفل وما أرادوا فِعْله من غير منع منه هلكوا جميعا ؛ لأن شؤم ذلك الفعل والغلبة من الماء على السفينة المغرق لها ولهم أمرعام لهم أجمعين، وإن منعوهم مما أرادوه من الخرق نجا الآخذون فى أنفسهم ونجا المأخوذون جميعا من الغرق، وهكذا إقامة الحدود ففى الحديث استحقاق العقوبة على العموم بترك الأمر بالمعروف " [2]٠

ووجه الشبه الجامع بين الطرفين اللذين ذكرهما ابن علان هو صورة منتزعة من متعدد، وهى منتزعة فى الحالة الأولى من هيئة النجاة المترتبة على قيام قوم بما يجب عليهم، وفى الحالة الثانية من هيئة الهلاك الناجم عن تقصيرهم فى ما يجب عليهم ٠

---

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه؟): ٢/٨٨٢، ح ٢٣٦١ ٠

(١) دليل الفالحين: ١/ ٤٧٠: ٤٧٢ (بتصرف) ٠

وقد زاد هذا التشبيه المعنى المراد وضوحاً وجمالاً ؛ لأنه شبه الأمر المعقول وهو حال الناس فى المجتمعات بصورة قوم ركبوا سفينة على الطريقة التى وصفهم بها الحديث، وهى صورة حسية مليئة بالحركة والحيوية، وكأنها قصة تمثيلية يشاهد الناظر أحداثها المتتابعة، مما أضفى على الكلام مسحة جمالية تمتع نفوس السامعين وتدفع عنها السآمة والملل، كما أبان هذا المثل عن الحرص الشديد من جانب الإسلام على حماية الأخلاق العامة للمجتمع المسلم؛ لأن فيها حفاظا له من الفوضى، وصيانه له من الفساد، ولهذا أوجب على المجتمع منع الأفراد ضعاف الإيمان من الإقدام على ارتكاب الجرائم، ومن ثَم رتب عليها العقوبات الرادعة ؛ التى يُقوّم بها المجتمع من الانحلال و الانحراف، أما إذا رأينا المنكر يقع بين ظهرانينا مهما ضؤل كهذا الخرق اليسيرفى جانب السفينة، شأنه دون الأخذ على أيدى العابثين، وقطع دابر المخربين، فإن هذا المنكر سرعان ما سيتفاقم أمره، ويستفحل شأنه، ولا نستطيع السيطرة عليه، وسيكون وقوعا العذاب أمرا محتوما، وسيحل بالجميع ويعمهم، مصداقا لقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**[1] أى: بل تصيبكم عامة، وتصل إلى الصالح والطالح، بسبب إقرارهم أو السكوت على ظلمهم ٠

(جـ) التشبيه المقلوب: هو التشبيه الذى يجعل فيه المشبه الناقص فى وجه الشبه (مشبها به)، والمشبه به الكامل فيه (مشبها) ؛ قصدا إلى إيهام السامع أن المشبه به (المشبه فى الأصل) أعرف وأشهر وأتم فى وجه الشبه من المشبه (المشبه به فى الأصل)، وذلك جار على الادعاء والمبالغة ٠

ومن التشبيه المقلوب ما رواه سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشيرالأنصارى . رضى اللّه عنهما. يقول: **((كان رسول الله ﷺ يسوى صفوفنا حتى كأنما يسوى بها القداح، حتى رأى أنا قد عقلنا عنه))**[2]٠

يقول ابن علان مبينا التشبيه المقلوب وفائدته: " قِدْح: بكسر فسكون . وهو السهم قبل أن يراش ويركب نصله، وعكس فيه التشبيه ؛ إذ الظاهر كأنما يسويها بالقداح ؛

---

(٢) الأنفال: ٢٥ ٠

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تسوية الصفوف وإقامتها): ١/٣٢٤، ح ٤٣٦ ٠

مبالغة فى استوائها ؛ لأن القِدح لا يصلح لما يراد منه إلا بعد نهاية الاستواء، وجمع فى مقابلة الصفوف: أى يسوى كل صف بقدح "[١] .

فالتشبيه المقلوب الذى أشار إليه ابن علان هو: تشبيه استواء واعتدال خشب السهام بعد نحتها وبريها، بتسوية واعتدال الصفوف فى الصلاة، فكأنما يُقوِّم الرسول ﷺ بتلك الصفوف المعتدلة المستوية السهام، والأصل فى الاستواء هو القداح، فجعل الأصل فى وجه الشبه فرعا، والفرع أصلا، وقد أفاد هذا القلب المبالغة فى تسوية الصفوف واعتدالها فى الصلاة، ومزيد حث على الالتزام بالتراص والتناظم فى الصف، وأخذ ذلك بعين الاعتبار، لأن البعض يحسبه هينا وهو عند الله عظيم ؛ لهذا فقد ورد وعيد شديد اللهجة لمن يخالف هذا الأمر، فقال ﷺ:" **لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بوجوهكم**" [٢] ؛ وذلك " لأن مخالفتهم فى الصفوف مخالفة فى ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن" [٣].

(د) التشبيه البليغ: لقد شاع فى عرف البلاغيين إطلاق اسم " التشبيه البليغ " على كل تشبيه حذف منه الوجه والأداة معا ؛ نظرا لأن المبالغة فيه مضاعفة ؛ إذ تحققت فيه من جهتين: الأولى: حذف الأداة، والذى أفاد دعوى الاتحاد بين الطرفين، فالمشبه حينئذ عين المشبه .والثانية: حذف الوجه، والذى أفاد دعوى عموم الاشتراك بين الطرفين فى جميع الصفات .

وكذا فعل ابن علان وحذا حذو جمهور البلاغيين، فمما عده من التشبيه البليغ ما ورد عن عمرو بن الأحوص الجشمى ﷺ أنه سمع النبى ﷺ فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله . تعالى . وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال: ((**ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك**)) [٤].

---

(٢) دليل الفالحين: ٣ / ٥٨٧ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (تسوية الصفوف ثم الإقامة وبعدها): ٢٥٣/١، ح ٦٨٥، رواه النعمان ابن بشير .

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم: ٤/ ١٥٧ .

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (ما جاء فى حق المرأة على زوجها): ٤٦٧/٣، ح ١١٦٣

قال ابن علان: " قوله: «فإنما هن عوان» من التشبيه البليغ على حد: زيد أسد " [١].

وهذا التشبيه بحق صورة بديعة، فيها من الخلابة والطرافة الكثير، فالرسول ﷺ شبه الزوجة فى دخولها تحت حكم الزوج ووجوب طاعتها له: بالأسير، ووجه الشبه هو التحكم والسيطرة والضعف فى كل، والرسول ﷺ أراد بهذا التصوير التأكيد على حق النساء والرحمة بهن وليس كما يفعل بهن في الجاهلية من تضييع حقهن، وأراد أيضا التأكيد على إجادة الرجل سياسة المرأة، وأن يحسن فقه التعامل معها، فكلمة " عوان " توحى بمعانى الضعف والذلة والاستكانة والخضوع٠٠٠إلخ، وهذا يستوجب من الزوج أن يسلك فى تعامله مع زوجته طريق الرفق والأناة ؛ لأن الزوجة كسيرة القلب، مهيضة الجناح، فإذا هى كانت أسيرة لديك فإنك فى حقيقة الأمر لم تأسر منها إلا جسدها كما هو الحال مع أسير الحرب، فينبغى عليك أيها الزوج الفطن أن تحكِّم عقلك، فتجبر قلبها ، وترفق بها، وتحسن معاملتها، وتنفق عليها ما يكفيها بالمعروف، إذا فعلت ذلك أسرت مع الجسد الروح والقلب معا ؛ لذا كان من أهم الأسباب فى ارتفاع نسبة الطلاق فى زماننا اليوم انتشار الجهل بفقه التعامل بين الزوجين٠

وعن ابن عمر . رضى الله عنهما . قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: ((٠٠٠**اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا،واجعله الوارث منا**٠٠٠)) [٢]٠

قال ابن علان مبينا التشبيه البليغفى الحديث السابق: " (واجعله) أى ما ذكر (الوارث) أى الباقى (منا) شبه دوام استمراره إلى آخر الحياة بالوارث الذى يبقى كذلك ويخلف الميت، ففيه تشبيه بليغ " [٣]٠

أى: يا رب إذا ضعفت قواى، بسبب المرض، أو الكبر والعجز أو غير ذلك، فاحفظ سمعى وبصرى وقوتى فى جسمى، واجعله آخر ما يفقد منى، ومتعنى بها

---

(٢) دليل الفالحين: ٢ / ١٠١ ٠

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: ٨٠ باب: ٥٢٨/٥، ح ٣٥٠٢ ٠

(٢) دليل الفالحين: ٣/ ٣١٧ ٠

إلى أن أموت: كالوارث الذى يبقى بعد موت مورثه، والوجه هو دوام الشىء وبقائه فى كل، وهذا التشبيه يدل على شدة حرص المسلم على سلامة سمعه وبصره ؛ لما يترتب عليها من منافع جمة، وأن يحفظ قوته حتى يستعملها فى طاعته.

(هـ) التشبيه الضمنى: وهو تشبيه خفى لا يأتى على صورة من صور التشبيه الصريحة المعهودة، بل يُفْهم ويُلْمح من مضمون الكلام، ولذلك سُمّى بالتشبيه الضمنى، وغالباً ما يكون المشبه قضية أو ادعاء يحتاج للدليل أو البرهان، ويكون المشبه به هو الدليل أو البرهان على صحة المعنى .

ومن التشبيهات الضمنية مارواه ابن عمر . رضى الله عنهما . أن رسول الله ﷺ قال: **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى))** (١).

ففى الحديث تشبيه محاسبة الله للعباد على سرائرهم وخفايا ضمائرهم، فيثيب المخلص، ويعاقب المسىء: بالشىء الواجب فعله، ووجه الشبه هو تحقق الوقوع فى كل، وفى هذا التشبيه دلالة على إنجاز الله وعده لعباده، فعلى المرء أن يكون صادقا مؤمنا بقلبه بينه وبين الله ﷻ، حتى يجنى ثمار ذلك فى الآخرة، وينجو من النار.

فمعالم التشبيه هنا غير سافرة، لا يفطن إليها إلا اللبيب أواليقظ، و كلما خفى التشبيه ودق كان أبلغ فى النفس ؛ لأنه يدفعها الى التشوف وإماطة اللثام عما خفى من الأسرار، فيكون ألطف وأمكن وأكثر استقرارا في النفس،ولعل هذا هو سر إعجاب ابن علان بهذا اللون ؛ لذا عده من التشبيه البليغ، حيث قال: " ولفظ «على» وإن كانت مشعرة بالإيجاب فهو على سبيل التشبيه البليغ: أى هو كالواجب عليه تعالى بمقتضى إخباره بوقوعه ؛ حذراً من الخلف فى أخباره تعالى

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم): ١٧/١،ح١٥ .

شرعاً بمقتضى وعده فلا يخلف الميعاد، خلافاً لقول المعتزلة بوجوبه عليه عقلاً" (١).

وقد اختار ابن علان أحد الاحتمالين اللذين ذكرهما الحافظ ابن حجرفى إفادة (على) معنى الإيجاب، فقد قال: " ولفظة (على) مشعرة بالإيجاب، وظاهرها غير مراد، فإما أن تكون بمعنى اللام أو على سبيل التشبيه " (٢).

(و) التشبيه الخيالى: هو التشبيه المعدوم، المؤلف من أمور عدة يخترعها خيال الإنسان، ويمكن إدراك كل واحد منها بالحس.

ومما عده ابن علان من التشبيه الخيالى ما رواه أبو هريرة ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: **((من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة _ أو كأنما رآنى فى اليقظة _ لا يتمثل الشيطان بى))** (٣).

قال ابن علان: " وقوله: (أو فكأنما رآنى فى اليقظة) شك من الراوى، ومعناه غيرالأول ؛ لأنه تشبيه، وهو صحيح ؛ لأن ما رآه فى المنام مثال، وما يرى فى عالم الحس حسى، فهو تشبيه خيالى بحسى" (٤).

ففيه تشبيه لرؤية الرسول ﷺ فى النوم على صورته الحقيقية التى كان عليها فى الدنيا: برؤيته فى اليقظة، وقد قيدنا المشبه بقولنا: " على صورته الحقيقية"؛ لأن الشيطان قد يتمثل فى غير صورته ﷺ ويدعى أنه الرسول ﷺ؛ من أجل إضلال الناس والتلبيس عليهم.

وينبغى أن ننوه إلى أنه ليس كل من ادعى رؤيته ﷺ يكون صادقا، وإنما تقبل دعوى ذلك من الثقات المعروفين بالصدق والاستقامة.

كما أن هذا التشبيه يدحض ما ذهب إليه الصوفية من أن رسول الله ﷺ يحضر بعد موته بجسده وروحه يقظة لدى أوليائهم ومشايخهم، فهذا ابن حجر يقول: "ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبى ﷺ فى المنام، ثم رأوه بعد

---

(١) دليل الفالحين: ٢ / ٢٧٦ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ١/ ٧٧ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب (الرؤيا): ٤/٧٥ ١٧،ح٢٢٦٦ .

(١) دليل الفالحين: ٣ /٣٢٣ .

ذلك فى اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين، فأرشدهم إلى طريق تفريجها، فجاء الأمر كذلك، **قلت:** وهذا مشكل جدا، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه فى اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف، وقد اشتد إنكار القرطبى على من قال: مَن رآه فى المنام فقد رأى حقيقته، ثم يراها كذلك فى اليقظة " [١].

٨. من أغراض التشبيه:

(أ) بيان حال المشبه: وذلك إذا كانت صفة المشبه مجهولة، وحاله غير معروفة للمخاطب، فيأتى التشبيه لبيان تلك الصفة ٠

وهذا الغرض كثيرا ما يأتى لتقريب الحقيقة إلى الأذهان، فعن أبى ذر جندب بن جنادة ﷺ عن النبى ﷺ فيما يروى، عن الله . تبارك وتعالى . أنه قال: **((ياعبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر))** [٢].

فالله ﷻ واسع الفضل، عظيم النوال، مصداقا لقوله . تعالى .: **﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّـهِ بَاقٍ﴾** [٣]، فلو أعطى كل إنسان مسألته لم ينقص العطاء خزائنه ؛ لذا خاطب الله ﷻ العباد من حيث يعقلون، وضرب لهم المثل بما هو غاية القلة وهو الإبرة ونهاية ما يشاهدونه وهو البحر، فشبه عطاءه الدائم لعباده وعدم نقصانه شيئا: بالمخيط إذا دخل فى البحر ثم نزع منه فإنه لا ينقص البحر شيئاً ؛ لأن البلل الذى لحق هذا المخيط ليس بشىء، وإن كان ثمة فرق بين طرفى التشبيه ذكره ابن علان، وعد هذا مثلا قصد به التقريب إلى الأفهام بما يشاهدونه، فقال: " (إلا كما ينقص المخيط ٠٠٠إذا أدخل البحر) وهو فى رأى العين لا ينقص شيئاً من البحر، فكذا الإعطاء من الخزائن الإلهية لا ينقصها شيئاً البتة ؛ لأنها من رحمته

---

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ١٢ / ٣٨٥ ٠

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم الظلم): ٤/١٩٩٤،ح٢٥٧٧ ٠

(٢) النحل: ٩٦ ٠

وكرمه، وهما صفتان قديمتان ولا نهاية لهما، والنقص مما لا يتناهى محال بخلافه مما يتناهى، كالبحر وإن جل وعظم وكان أكبر المرئيات فى الأرض٠٠٠فعلم أن قوله: «إلا كما ينقص المخيط» إلخ ليس المراد منه حقيقته، وإنما هو تمثيل يقرب إلى الفهم ؛ ليعلم منه أنه لا ينقص فى تلك الخزائن البتة، لا لعدم نقص ماء البحر من غرز المخيط، فالجامع بين المشبه والمشبه به عدم النقص من حيث المشاهدة الصورية، فهما وإن افترقا فى أنا إذا نظرنا إليهما بعين الحقيقة وجدنا البحر ينقص بهذا الشيء الحقير المأخوذ منه الذى لا يدرك لنا، وتلك الخزائن لا ينقصها شيء مما أفاضه الله . تعالى . منها من حين خلق السموات والأرضين إلى انقضاء هذا العالم، ثم من حين بعثه إلا ما لا نهاية له، لما تقرّر من استحالة نقص ما لا يتناهى، وفى هذا تنبيه للخلق على إدامتهم لسؤاله . تعالى . مع إعظام الرغبة، وتوسيع المسألة، فلا يختصر سائل بل يسأل ما أحب ؛ لما تقرّر أن خزائن النعم سحاء الليل والنهار، لا ينقصها الإعطاء وإن جلّ وعظم"[١]٠

ومنه ما رواه أبى العباس سهل بن سعد ﷺ قوله ﷺ لعلى:ﷺ **((فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم))** [٢]٠

قال ابن علان: " وحمر النعم: هى الإبل الحمر، وهى أنفس أموال العرب، ويضربون بها المثل فى نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرّة من الآخرة الباقية خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها لو تصورت" [٣]٠

(ب) بيان مقدار حال المشبه: وذلك إذا كان المخاطب يعرف صفة المشبه على الجملة، ولكنه يجهل مقدار هذه الصفة، من حيث القوة والضعف، والزيادة والنقصان، فتقيسه على شيء يعرف مقدار حاله ٠

---

(٣) دليل الفالحين: ١ / ٣٢٩، ٣٣٠ ٠

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (دعاء النبىﷺ إلى الإسلام والنبوة): ٣/١٠٧٧،ح٢٧٨٣ ٠

(٢) دليل الفالحين: ١ /٤٥٠ ٠

عن عبد الله . رضى الله عنهما. قال: حدثنا رسول الله ﷺ **((فوالذى لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب،**

فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها))[١].

وقد بين ابن علان فائدة التمثيل الوارد فى الحديث فقال: " (بينه وبينها) أى الجنة (إلا ذراع) أراد به التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه الجنة "[٢]. فقد أراد الرسول ﷺ أن يبين لنا مدى قرب هذا الرجل . الذى يعمل بعمل أهل الجنة فى الظاهر . من الجنة بحسب الظاهر؛ نظرا لدنو أجله، فشبهه بمن بقى بينه وبين موضع الأرض مقدار ذراع، ولكن العبرة بالخواتيم، والخواتيم مرتبة على السوابق، وهذا لم يعمل بعمل أهل الجنة حقيقة، أو إخلاصا وإيمانا ؛ لذا فقد ختم له بسوء العاقبة.

(جـ) تقرير حال المشبه: وذلك إذا كانت كل من صفة المشبه ومقداره معلومين للسامع، ولكن أريد بالتشبيه تأكيد اتصاف المشبه بالصفة، فيشبه بمن هى فيه أظهر، فهو نوع من بيان الحال، ولكنه بيان على وجه التمكين .

وأكثر ما يكون هذا الغرض فى تشبيه المعنويات بالمحسات ؛ إذ النفس إلى الحس أميل .

ومما عده ابن علان من هذا القبيل ما رواه أبوهريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شىء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شىء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا))**[٣].

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب القدر، باب (كيفية الخلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته): ٤/٢٠٣٦،ح٢٦٤٣ .

(٤) دليل الفالحين: ٢/٢٩٢ .

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (المشى إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات): ١/٤٦٢، ح ٦٦٧ .

فقد أبان ابن علان عن طرفي التمثيل وفائدته بقوله: " أي: فمثل رفع النهر المنغمس فيه خمس مرات كل يوم الدرن الحسي، مثل الصلوات الخمس في رفعها الدرن المعنوي من الذنب، وبين وجه الشبه بقوله: (يمحو اللّه بهن) أي: بسببهن٠٠٠الصغائر المتعلقة باللّه سبحانه٠٠٠وفائدة التمثيل التأكيد، وجعل المعقول كالمحسوس" (١)٠

(د) تشويه المشبه: وذلك إذا كان المشبه قبيحاً قبحا حقيقياً أو اعتبارياً، فيؤتى له بمشبه به أقبح منه، فيتخيل السامع شين المشبه، وتنفر منه النفس؛ نظرا لإلحاقه بما تحقق فيه الشين٠

عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللّهﷺ: **((اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة))** (٢)٠

فقد شبه ﷺ رأس هذا العبد: بحبة سوداء من العنب الجاف، وذلك في السواد والحقارة، أو في الصغر، وضرْبُ هذا المثل في الحديث يشير إلى تحقير شأن الممثل، وبيان قباحة صورته وبشاعتها، فأمرنا الرسول ﷺ بطاعة هذا العبد وتنفيذ أحكامه ، وعدم شق عصا الطاعة عليه حتى وإن كان بهذه الدرجة من الخساسة، طالما يحكم بشرع الله، وقد أبان ابن علان عن الغرض من التشبيه فقال: " ومعنى كأنّ رأسه إلخ أي: أسود صغير قطط، فيكون أبلغ في حقارته " (٣)٠

٩. شبهة والرد عليها:

اشترط البلاغيون شرطين لتحقيق هذا الغرض (تقرير حال المشبه): **أولهما:** أن يكون وجه الشبه في المشبه به أكثر شهرة ومعرفةعند الناس من وجوده في المشبه٠

وثانيهما: أن يكون وجود الوجه في المشبه به أتم وأكمل وأقوى من وجوده في المشبه ٠

---

(٢) دليل الفالحين: ٣ / ٥٤٥ ٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (الطاعة للإمام ما لم تكن معصية): ٢٦١٢/٦، ح٦٧٢٣ ٠

(١) دليل الفالحين: ٣ / ١٣٠ ٠

وقد ورد ما يوهم خلاف هذا، وذلك فيما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب . رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ فى حجة الوداع: **((ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد))** [(١)].

" **قيل:** المشبه به أخفض رتبة من المشبه وهو خلاف القاعدة .**والجواب:** أن تحريم اليوم والبلد كان ثابتاً فى نفوسهم مقرراً عندهم بخلاف الأنفس والأموال، فكانت الجاهلية تستبيحها، فورد التشبيه بما هو مقرّر عندهم، ومناط التشبيه ظهوره عند السامع" [(٢)].

فالتشبيه الوارد فى الحديث هو: تشبيه حرمة تعرض المسلمين بعضهم لبعض بسفك الدماء أو بسلب المال فى غير هذه الأيام: بحرمة التعرض لهما فى يوم عرفة وفى حرم مكة وفى شهر ذى الحجة، والغرض من هذا التشبيه كما نوه ابن علان **(تقرير حال المشبه)** ؛ إذ المراد بيان التأكيد على غلظ تحريم الأموال والدماء والأموال، والتحذير من التعدى عليهما، لهذا شبههما بالمحرم شديد الحرمة، مما يدل على شدة التحريم، فهو نوع من بيان الحال ولكنه بيان على وجه التمكين، وقد تحقق فيه الشرط الأول، لأن حرمة اليوم والبلد والشهر أكثر شهرة ومعرفة من حرمة الدماء والأعراض، أما الشرط الثانى فقد يتوهم متوهم أنه غير متحقق ؛ لأن تحريم دم المسلم وماله أعظم من حرمة المشبه به، وقد أجاب ابن علان بأن المشبه به إنما كان مقررا فى نفوسهم منذ الجاهلية ؛ وهو بهذا التعليل يتفق مع ابن حجر العسقلانى، فقد قال: "فلا يرد كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه ؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون قبل تقرير الشرع " [(٣)].

كما أن قول ابن علان: " ومناط التشبيه ظهوره عند السامع " يتفق من جهة أخرى مع ما ذهب إليه الإمام السبكى من أن القوة قد تتمثل فى ظهور الوجه فى المشبه به عنه فى المشبه، إذ يقول معقبا على التشبيه الوارد فى قوله تعالى:﴿ **مَثَلُ نُورِهِ**

---

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (حجة الوداع): ١٥٩٨/٤، ح٤١٤١ .
(٣) دليل الفالحين: ١ /٥١٩ .
(١) فتح البارى: ١ / ١٥٩.

كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[١]: " وقد تكون القوة في المشبه به باعتبار الوضوح، ويؤيده أنه ليس بين نوره تعالى ونور المشكاة اشتراك في القوة والضعف يقتضي أن أحدهما أتم في نفس الحقيقة، فإنما هو باعتبار الوضوح "[٢] .

ويقول ابن علان في موطن آخر أيضا: " وتقدم أن وجه التشبيه مع أنها في الحرمة أفضل من المشبه به كون المشبه به أشهر، وتشبيه ما لم يشتهر وإن كان أفضل بما اشتهر وإن كان مفضولاً واقع، جعل منه قوله: **صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم**" [٣].

وأما التشبيه الذي استأنس به ابن علان في تشبيه الأفضل بالمفضول في قوله ﷺ: " **اللهم صلِّ على محمد كما صليت على إبراهيم** "، معللا ذلك بأنه من تشبيه ما لم يشتهر بما اشتهر، فهذا على اعتبار أن الغرض منه **(بيان حال المشبه)**، وهذا ما صرح به العلامة الطيبي حيث قال: " لأن التشبيه في قوله: ((كما صليت على إبراهيم)) ليس من باب إلحاق الناقص بالكامل، بل من باب بيان حال من لا يعرف بما يعرف، وما عرف من الصلاة على إبراهيم وآله ليس إلا في قوله تعالى .:﴿**رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيد**﴾"[٤].

وبذلك يذهب ابن علان مذهب جمهور البلاغيين، حيث يرون أن الغرض من التشبيه إذا كان هو **(بيان حال المشبه)** فإنه يُشترط فيه شرط واحد، وهو أن يكون وجه الشبه أشهر وأعرف في المشبه به ؛ لأن الغرض حينئذ هو البيان والإيضاح، ويتحقق هذا بإلحاق الغامض بالواضح، والمغمور بالمشهور، أما إذا كان الوجه في المشبه به أقل وضوحا منه في المشبه، لم يصح أن يكون بيانا له، وذلك خلافا للخطيب القزويني[٥]الذي اشترط شهرة الوجه وتمامه وكماله معا في المشبه به .

---

(٢) النور:٣٥ .

(٣) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٣/ ٤٠٨ .

(٤) دليل الفالحين: ٢ / ٢٤٩ . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: باب (إن الله وملائكته يصلون على النبي): ١٨٠٢/٤، ح٤٥١٩ .

(٥) هود: ٧٣ .الكاشف عن حقائق السنن:للطيبي: ٣/ ١٠٤٠ .

(١) ينظر: الإيضاح: ص ١٣٤ ، وشروح التلخيص: ٣/٤٠٠ .

هذا وقد وردت أقوال كثيرة فى هذا التشبيه لعل أظهرها: "أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة، لا للقدر بالقدر، فهو كقوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ**﴾[١]...وهو كقول القائل: أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان، ويريد بذلك أصل

الإحسان لا قدره، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾[٢]، ورجح هذا الجواب القرطبى فى المفهم "[٣].

(٢) النساء: ١٦٣ .

(٣) القصص:٧٧ .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى: ١٦١/١١ .

الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز:

تسمى اللغة العربية بلغة المجاز ؛ نظرا لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصورة المحسوسة إلى حدود المعانى المجردة، فالعربى يستمع للتشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه، فالقمر عنده بهاء، والزهر نضارة، والغصن اعتدال ورشاقة، والطود وقار وسكينة [١].

ولكى يفهم معنى " المجاز" وحدّه الاصطلاحى، فإنه يوضع دائما فى مقابل " الحقيقة " ؛ وذلك لاعتباره فرعا عنها، ودلالته انحراف عن الأصل الحقيقى له، فهما لونان متقابلان من ألوان التعبير الأدبى، لا يخرج أسلوب من الأساليب عن إطارهما، لذا وجب علينا الوقوف على كنه كلا منهما:

أولا: الحقيقة: حدها عبد القاهر الجرجانى بقوله: " كل كلمة أريد بها ما وقعت له فى وضع واضع – وإن شئت قلت: فى مواضعة – وقوعا لا يستند فيه إلى غيره، وهذه عبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه " [٢].

ثانيا: المجاز: حده عبد القاهر بقوله: " وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له فى وضع واضعها ؛ لملاحظة بين الثانى والأول فهى مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له فى وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا ؛ لملاحظة بين ما تُجوّز بها إليه وبين أصلها الذى وضعت له وضع واضعها فهى مجاز"[٣].

ثم يذكر شرط المجاز وصحته بقوله: " فالنقل هو عمدة المجاز، وهو ركن فيه ؛ لأن المجاز لغويا واصطلاحيا يقع بمجرد النقل ؛ لأنه من الجواز بمعنى أن الكلمة جازت مكانها إلى مكان آخر، فهو مفعل بمعنى فاعل، أو مجوز بها، فهو

(١) اللغة الشاعرة: للعقاد: ص ٤٠.
(٢) أسرار البلاغة: ص ٣٢٤.
(٣) المصدر السابق: ص٣٢٥، ٣٢٦.

مفعل بمعنى مفعول، وعلى هذا فإن كلا من العلاقة والقرينة شرطان فى تحقيق المجاز وصحته " [١].

إذا فعبد القاهر يشترط لصحة نقل الكلمة من معناها الوضعى إلى معنى آخر وجود علاقة بين المعنيين: المنقول عنه والمنقول إليه، وهذا العلاقة قد تكون مشابهة أحدهما للآخر، وقد تكون غير المشابهة، وعلى أساس تنوع العلاقة قسم البلاغيون المجاز اللغوى إلى: استعارة، حيث تكون العلاقة المشابهة، أو بمعنى أدق المبالغة فى التشبيه وإلا كانت مجازا مرسلا، وهذه العلاقة المعتبر نوعها لا شخصها، كما اشترط البلاغيون فى المجاز وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى، سواء عينت المراد أم لم تعينه، وهذه القرينة قد تكون لفظية أو معنوية ٠

هذا وقد قسم البلاغيون المجاز باعتبار الاصطلاح الذى وقع الاستعمال فى غير ما وضعت له فيه . إلى ثلاثة أقسام: لغوى، وعرفى (عام وخاص)، وشرعى، وذلك إن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى، وإن كان اصطلاح الشرع فشرعى، وإلا فعرفى عام أو خاص [٢]، وقد عد البلاغيون إطلاق لفظ " الصلاة " بعرف الشرع فى معنى الدعاء مجازا عرفيا ؛ لأنها تطلق بحسب عرفهم على العبادة المخصوصة، لكن ابن علان عد هذا من قبيل المجاز العرفى كما سيأتى الآن، ولعله يقصد المجاز العرفى الخاص، لكن البلاغيين لم يعتبروا المجازالشرعى من قبيل العرفى الخاص ؛ تشريفا له فجعلوه قسما مستقلا برأسه[٣]٠ قال ابن علان: " الصلاة لغة: الدعاء بخير، وشرعاً: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة غالبة٠٠٠وعلم مما مر أنها بمعنى الدعاء حقيقة لغوية، مجاز عرفى علاقته تشبيه الداعى فى تخشعه ورغبته بالمصلى" [٤].

المجازات المنسية:

(١) المجاز فى اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع: د/عبد العظيم المطعنى: ١٠٨٣/٢، ١٠٨٤ (بتصرف)

(٢) مختصر العلامة التفتازانى على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص: ٢٧/٤، ٢٨

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٢٧/٤ ٠

(٤) دليل الفالحين: ١ /٢٦٦ ٠

قد تستخدم كلمة فى دلالة جديدة فتثير لدينا انطباعا يتنوع بين الاستغراب والإعجاب والدهش، وهذا مما يلحقها بدائرة المجاز، ولكن بمرور الزمن وشيوع الاستعمال لتلك الكلمة وتداولها على الألسنة، صارت تثير لدينا إحساسا بالألفة ؛ لأنها فقدت شحنتها التأثيرية التى كانت لها من قبل، حتى أصبح المعنى المجازى هو المتبادر إلى الذهن عند سماع تلك الكلمة، لهذا فقد صارت هذا الكلمة فى عداد الحقائق العرفية، وفى هذا المعنى جاء القول التقليدى بأن اللغة " قاموس من المجازات التى فقدت مجازيتها بالتدريج " (١).

وقد أشار ابن علان إلى هذا النوع من المجاز وذلك فى إطلاقهم الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط، وهذا من باب إطلاق المقيد وإرادة المطلق، فقال: " **الحديقة:** البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة ؛ لأن الحائط أحدق بها: أى أحاط، ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط " (٢).

وأيضا فى حديث عمر بن الخطاب ﷺ، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: **((الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))** (٣).

---

(١) دور الكلمة فى اللغة: تأليف /ستيفن أولمان – ترجمة.د/ كمال محمد بشر: ص ٧٦. والمجازات المنسية (دراسة بلاغية): لأستاذنا الدكتور/ محمد إبراهيم شادى: ص٢٣، ٢٤.

(٢) دليل الفالحين: ٢ / ٥٦٥ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب الإيمان، باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان): ١/٣٧، ح١ .

يتضح من هذا الحديث أن **(الإيمان)** يشمل الأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها، بينما **(الإسلام)** يشمل الأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، فالإيمان أخص والإسلام أعم، فكل مؤمن مسلم من غير عكس، لكن ابن علان يصرح بأنه قد يطلق الإيمان على الإسلام وقد يحدث العكس، وهذا وارد على سبيل التوسع فى اللغة، وهذا الإطلاق قد ذاع وتدوول على الألسنة حتى تنوسى أنه معدود من قبيل المجاز، من باب إطلاق الخاص على العام والعام على الخاص، وأصبح هذا الإطلاق فى حكم الحقيقة، مما أحدث التباسا وإشكالا فى تفسيرهما لدى بعض العلماء، فيقول: " فما دلّ عليه حديث جبريل من اختلافهما هو باعتبار المفهوم، إذ مفهوم الإسلام الشرعى: الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، والإيمان في الشرع: التصديق بالقواعد الشرعية، على أنه قد يتوسع الشرع فيهما، فيستعمل كل واحد منهما فى مكان الآخر، كإطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة فى حديث: «**الإيمان بضع وسبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله**»[١] على أحد الوجوه فى ذلك٠٠٠وإطلاق الإسلام على التصديق القلبى فى قوله . تعالد: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [٢] ٠قال القرطبى: وهذا الإطلاق من باب التجوّز والتوسع، وإذا حقق ذلك زاح كثير من الإشكال الناشىء من هذا الاستعمال "[٣] ٠

ومن الملاحظ أن المثالين اللذين ذكرهما ابن علان من قبيل المجاز المرسل وليس الاستعارة ؛ وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على " أن المجاز المرسل أكثر عرضة للنسيان، وأكثر

طواعية للتحول من المجاز إلى الحقيقة فى الاستعمال واصطلاح التخاطب، ولعلنا نلحظ هذا عند قراءتنا للشعر العربى القديم فإن تشبيهاته واستعاراته تلفتنا أكثر مما تلفتنا مجازاته المرسلة، لا لأنها غير موجودة، ولكن لأن استناد المعنى

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (ما جاء فى استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه): ٥/١٠، ح٢٦١٤، رواه أبوهريرة ٠

(٢) آل عمران:١٩ ٠

(٣) دليل الفالحين: ١ / ٢١٧ ٠

الثانى إلى الأول لا يكون قويا فى المجاز كقوته فى الاستعارة، حتى تجد المعنى الأول فى المجاز المرسل لا يلفتنا أحيانا كثيرة، مما يجعلنا نتعامل معه تعاملنا مع الحقيقة "[١].

الجمع بين الحقيقة والمجاز:

أثار ابن علان قضية الجمع بين الحقيقة والمجاز، ويتحقق هذا باستعمال اللفظ فى معنييه: الحقيقى والمجازى معاً، بإطلاق واحد فى وقت واحد، وسنقف أولا على رأى العلماء فى هذه القضية، ثم رأى ابن علان بعد ذلك، ففى الحديث الذى رواه أبو هريرة ﷺ عن النبى ﷺ والذى قال فيه: **((من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليصل رحمه...))** [٢].

يعقب ابن علان على الأمر فى قوله ﷺ: " فليصل رحمه "، فيقول: " وتقدم فى باب صلة الأرحام أن صلة الرحم مطلوبة، وبعض خصالها واجب وبعضها مندوب، فالأمر فى ذلك كله إما: من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يرى جوازه، أو من باب عموم المجاز، بأن يراد به مطلق الطلب الشامل للنوعين " [٣].

وكذا يعقب ابن علان فيما رواه البراء بن عازب ـ رضى اللّه عنهما ـ قال: **((أمرنا رسول اللّه بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز...))** [٤].

فيقول: " (أمرنا رسول اللّه بسبع) المراد منه هنا ما يشمل أمر الوجوب والاستحباب، إما من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه كما هو مذهب جمع من الأئمة، منهم إمامنا الشافعى، أو من عموم المجاز الجائز عند الجميع " [٥].

نستشف من هذين النصين ثلاثة أمور: ***الأمر الأول:*** أن ابن علان يذهب مذهب جمهور الأصوليين[١]، والذين نصوا على أن الأمر حقيقة فى الوجوب، ولا

(١) المجازات المنسية دراسة بلاغية: ص٨، ٩ (بتصرف).
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه): ٥/٢٢٧٣، ح٥٧٨٧.
(٣) دليل الفالحين: ٣ / ١٨٤ .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (حق إجابة الوليمة والدعوة): ٥/١٩٨٤، ح٤٨٨٠
(٥) دليل الفالحين: ٣ / ٣٣٢ .

يصرف عن ذلك إلا بقرينة ؛ لأنه عدَّ استعمال صيغة الأمر فى الندب من قبيل المجاز ٠

الأمر الثانى: أن ابن علان رجح أحد احتمالين فى استعمال صيغة الأمر فى الواجب والمندوب معا: **أولهما:** إما أن يكون من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز، وقد ألمع ابن علان إلى أن علماء الأصول اختلفوا فى هذا الجمع، **وتفصيل ذلك:** أن جمهور أهل الحنفية، وجمعا من المعتزلة، والمحققين من الشافعية، ذهبوا إلى عدم جواز استعمال اللفظ فى المعنى الحقيقى والمجازى حال كونهما مقصودين بالحكم، بأن يراد كل واحد منهما، ومما احتجوا به المانعون مطلقا: أن المعنى المجازى يستلزم ما يخالف المعنى الحقيقى، وهو قرينة عدم إرادته، فيستحيل اجتماعهما ٠

واحتجوا أيضا: بأنه كما لا يتصور أن يكون الثوب الواحد على إنسان ملكا وعارية فى حالة واحدة، فكذلك لا يتصور الجمع بين الحقيقة والمجاز فى لفظ واحد ٠[٢]

وكذا ذهب البيانيون إلى عدم الجمع بين الحقيقة والمجاز ؛ لأنهم يشترطون فى المجاز لديهم وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلى وتمحضه للمعنى المجازى ٠

بينما أجاز جماعة . منهم الإمام الشافعى . الجمع مطلقا عند عدم المانع، أما إذا وجد مانع يمنع من الجمع بينهما فلا، " كافعل " أمرا وتهديدا، فإن الأمر: طلب الفعل، والتهديد: يقتضى الترك، فلا يجتمعان معا، وممن ذهب إلى هذا الرأى الإمام السبكى حيث قال: " قلت: لا يمتنع استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه، وإلى

---

(١) اختلف علماء الأصول فى المعنى الذى وضع له صيغة الأمر: فقيل: وضعت للوجوب فقط، وهو رأى الكثرة، وقيل: للندب، وقيل: للقدر المشترك بينهما، وهو مجرد الطلب على جهة الاستعلاء، فهى من قبيل المشترك المعنوى، وقيل: هى مشتركة بينهما اشتراكا لفظيا، بأن وضعت لكل منهما استقلالا، وقيل: مشتركة بين الوجوب والندب: والإباحة، وقيل: موضوعة للقدر المشترك بين الثلاثة، أى الإذن فى الفعل ٠ ينظر: مواهب الفتاح، وحاشية الدسوقى على السعد ضمنا شروح التلخيص: ٢/٣١٠ ٠

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: للشوكانى: /٥٩، والمبسوط: للسرخسى: ٧ /١٨٤ ٠

هذا ذهب كثير منهم: الشافعى، والقاضيان أبو بكر وعبد الجبار، وأبوعلى الجبائى، والغزالى، وأبو الحسين، وسائر المعتزلة "[١].

وقد استند فى هذا الجواز إلى أن قرينة المجاز وإن لم تدل على إرادة الحقيقة ؛ لأنها تدل على إرادة المجاز، إلا أنها لا تمنع من إرادة الحقيقة على الإطلاق، فقال معقبا على الخطيب القزوينى: " وما ذكره من أن القرينة معاندة لإرادة الحقيقة. إن أراد من إرادتها فقط فمسلم، ولا ينتج مقصوده، وإن أراد أن القرينة مانعة من أن تراد الحقيقة مطلقا فممنوع، بل القرينة تدل على إرادة المجاز ولا تمنع إرادة الحقيقة معه، وليس من شرط القرينة أن تكون ذكر وصف لا يصلح معه إرادة الحقيقة، فقد تكون قرينة حالية لإرادة المجاز لا لنفى الحقيقة" [٢].

كما أشار السبكى فى " عروسه " إلى عدم جواز الجمع مع وجود المانع فقال: " لا يمكن الإيجاب والتهديد بصيغة واحدة، وإن جوزنا استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه " [٣].

أما رأى ابن علان فقد أجاز الجمع بين الحقيقة والمجاز، وقد كشف عن رأيه هذا فى أكثر من موطن، ففى تعقيبه على قوله . تعالى .: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾[٤]، يقول: " وإسماعيل عمه فهو من التغليب، **قلت:** أو استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ؛ لأن العم يسمى أبا مجازاً"[٥].

فقد اجتمعت الحقيقة مع المجاز فى لفظ " آبائك " ؛ لأن إطلاق لفظ " الأب " على إبراهيم عليه السلام حقيقة، وعلى إسماعيل عليه السلام مجاز، وهذا أمر جائز عند ابن علان، وليس ذلك بمستغرب ؛ فهو شافعى المذهب.

التغليب:

(١) إرشاد الفحول: ٥٩/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ٣٦٤/١ .
(٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: ٢٣٩/٤، ٢٤٠ .
(٣) المصدر السابق: ٣١٤/٢ .
(٤) البقرة: ١٣٣ .
(٥) دليل الفالحين: ٥ / ٢٢٤ .

التغليب هو: " إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر، بأن يجعل الآخر موافقا له فى الهيئة أو المادة "(١).

وقد تطرق ابن علان إلى التغليب مصرحا برأيه فيه من حيث الحقيقة والمجاز، حيث أجاز أن يكون من باب المجاز، أو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، وذلك فى إطارتعقيبه على لفظة " قوم " قائلا: " هو اسم جنس جمع يصدق بثلاثة فأكثر، يستوى فيه الذكور والإناث، كذا فى «فتح الإله»، وظاهره أنه مشترك بين الفريقين، لكن تقدم عن «مفردات الراغب»: القوم: جماعة الرجال فى الأصل دون النساء، قال . تعالى .:﴿ **لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ٠٠٠وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ**﴾ (٢)، وفى عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعاً وحقيقته للرجال اهـ٠ ومنه يتبين أن قوله: " يستوى فيه الذكور والإناث " باعتبار أنه المراد ؛ لاستواء المكلف من كلا النوعين فى غالب الأحكام، فيكون مجازاً من باب التغليب أو استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه" (٣).

فابن علان يرى أن التغليب ليس من باب الحقيقة ؛ وهذا لأن اللفظ مستعمل فى غير ما وضع له، فلفظ " القوم " وإن كان موضوعا فى الأصل لجماعة الرجال إلا أنه فى الآية يشمل النساء أيضا ؛ فيكون حينئذ معدودا من المجاز، إلا أن ابن علان لم يصرح بنوع المجاز، وهذا ما اختلف فيه البلاغيون على النحو التالى:

فالعلامة الدسوقى وابن كمال باشا ذهبا إلى أن التغليب مجاز مرسل علاقته الجزئية ؛ " لأن اللفظ فيه أريد به معنى واحد، مركب من المعنى الحقيقى والمجازى، فهو مستعمل فى المجموع مجازا " (٤).

لكن محمد بن على الصبان قال: إن هذا فيه نظر: أولا: لأن الأقرب أن يكون اللفظ مستعملا فى المجموع باعتبار كل منهما ٠ وثانيا: عدم استيفاء الشروط الخاصة بعلاقة الجزئية هنا؛ لهذا فهو يرى أن الأحسن

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٢/ ٥٣.

(٢) الحجرات:١١ ٠

(٣) دليل الفالحين: ٢/ ٣٦ ٠

(٤) حاشية الدسوقى على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٥٢/٢، والرسالة البيانية: للصبان: ص١٠٤، وينظر: المطول: ص١٥٩ ٠

أنه مجاز مرسل علاقته المجاورة فى الذهن، أو الذكر، أو أنه استعارة علاقته المشابهة [١].

وقد زاد الدسوقى أن التغليب يحتمل أن يكون مجازا إرساليا علاقته المصاحبة، أو من عموم المجاز، وذلك على هذا فلفظ " القوم " يراد به مطلق جماعة، فيشمل جماعة الرجال والنساء على السواء، والعلاقة (الإطلاق)، وهى معتبرة بين تمام المراد والمعنى الموضوع له اللفظ[٢].

لكن فريقا من البلاغيين منهم العلامة ابن يعقوب المغربى وعبد الحكيم ذهبا إلى أن التغليب لا يعد من المجاز ؛ لأن المجاز فيه نقل اللفظ من معنى لمعنى آخر، فلا بد من علاقة مصححة للانتقال، بينما التغليب فيه نقل المعنى من لباس (لفظ) إلى لباس لنكتة، ولذا كان البحث عنه من وظيفة المعانى، وإن صرح الشارح . السعد . فيما سبق بكونه من باب المجاز، والحقيقة والمجاز والكناية أقسام للكلمة إذا كان المقصود استعمال الكلمة فى المعنى، وأما إذا كان المقصود نقل المعنى من لفظ للفظ آخر فهو ليس شيئا منها، ولكن التغليب عندهما قسم ثالث لا حقيقة ولا مجاز، فهو واسطة بين الحقيقة والمجاز [٣].

أما الاحتمال الثانى وهو استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه فقد أرسى العلامة الدسوقى قاعدة عامة لحل إشكالية هذا الجمع، وهو عد هذا الجمع من باب الكناية، حيث أفصح عن هذا وهو بصدد حديثه عن صيغة الأمر فقال: " قوله: (وقد تستعمل لغيره) أى: لعلاقة بين ذلك الغير وبين معنى الأمر بحسب القرائن، فإن قامت قرينة على منع إرادة معنى الأمر فمجاز، وإلا فكناية " [٤].

---

(١) الرسالة البيانية: للصبان: ص١٠٤ .

(٢) حاشية الدسوقى على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٢/٥١، ٥٢ .

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٤/٣٠٩ (بتصرف) .وتابعهما الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدى ينظر: بغية الإيضاح: ١/ ١٤٤ .

(٤) حاشية الدسوقى على السعد ضمن شروح التلخيص: ٢/٣١٢ .

لكن الدكتور/عبد الحميد هنداوى يقول: " والحق أنهما إذا أريدا جميعا لا يكون ذلك كناية، بل يكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه، وذلك ممنوع"(١).

الأمر الثالث: وهو اعتبارهذا الجمع من عموم المجاز، وذلك باستعمال اللفظ فى معنى المجاز، بحيث يكون معنى كليا فيشمل المعنى الحقيقى وغيره، وتكون الحقيقة فرداً من أفراده، فيراد بالأمر حينئذ مطلق الطلب الشامل للإيجاب والندب معا.

وتكمن التفرقة بين عموم المجاز والجمع بين الحقيقة والمجاز فى " أن الحقيقة فى الأول تجعل فردا من الأفراد، بأن يراد معنى يتحقق فى كلا الأفراد، بخلاف الثانى، فإن الحقيقة يراد بها الوضع الأصلى، والمجاز يراد به الوضع الثانوى، فهما استعمالان متباينان " (٢).

الصورة المجازية والتقديم الحسى للمعنى:

من أسباب احتفاء وإعجاب ابن علان بالصورة المجازية أنها تقدم مضمونها فى شكل

معطيات حسية، حيث تجسد المعنويات فى صورة مادية محسوسة ملموسة، فتبدو وكأنها ماثلة شاخصة أمام عين الرائى، وهذا بلا شك يؤدى إلى وضوح المعنى الذهنى ويؤكده ويبالغ فيه، فضلا عما يحدثه ذلك من تأثير يتداعى إلى القلوب والعقول، حيث ينفعل معها قلب وعقل القارئ والسامع، وذلك أدعى لتقبل النفس لها، واقتناع العقل بها، ومن ثم استقرارها فى الأذهان ؛ وقد كشف ابن علان عن إعجابه بهذا النوع من الصور المجازية، حيث وسمها بصفة البلاغة، ففى الحديث الذى رواه أبو نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع،

(١) ينظر: هامش الأطول: ٣٥٨/٢ .

(٢) حاشية ابن عابدين: لمحمد أمين: ٩٤/١ .

فأوصنا، قال: ((٠٠٠**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،عضوا عليها بالنواجذ**))[١]٠

قال ابن علان معقبا عليه: "**(عضوا عليها بالنواجذ)** ٠٠٠والمعنى: عضوا عليها بجميع الفم ؛ احترازاً من النهش، وهو الأخذ بأطراف الأسنان، فهو إما مجاز بليغ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس، أو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد في لزومها، كفعل من أمسك بنواجذه شيئاً وعض عليه ؛ لئلا ينزع منه ؛ لأن النواجذ محدودة، فإذا عضت على شيء نشبت فيه فلا يتخلص، وقيل: معناه الأمر بالصبر على ما يصيبه من العض في ذات الله، كما يفعله المتألم مما أصابه من الألم "[٢]٠

فالمراد: اجتهدوا في اتباع السنة المطهرة، والتمسك بها، الزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه ؛ خوفا من ذهابه وتفلته، فالمشبه . كما ترى . من الأمور المعقولة ، بينما المشبه من الأمور المحسوسة ، ثم حذف المشبه واستعير له المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية ٠

فالرسول ﷺ لما حثنا أولا على الالتزام والتمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، فهذه هى السنة الكاملة، استشعر ﷺ كثرة الفتن والمحدثات والضلالات التى ستطرأ من بعده، والتى توهن التمسك بالسنة، كما استشعر أيضا أن هناك من دعاة السوء والباطل وأهل الشبهات والتشكيكات ونحوهم من يحاولون زعزعتنا عن هذه السنة، ويسعون في تفلتنا منها، والتخلى عنها ؛ وهذا مما يحتاج منا إلى زيادة توثق، وليس عندك إلا أسنانك بل أقاصى أسنانك، وهى النواجذ، فعلينا مع تمسكنا بها باليدين أن نزيد على ذلك بالعض عليها بالنواجذ ؛ ليكون ذلك أقرب إلى الثبات عليها ٠

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع): ٤٤/٥، ح٢٦٧٦ ٠

(٢) دليل الفالحين: ٤١٥/١ ٠

المجاز المرسل

كل مجاز لغوى كانت علاقته غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى فاعلم أنه يسمى (مجازا مرسلا)، وهذا النوع من المجاز واسع الخطو، بعيد المدى، علاقاته متعددة، وارتباطاته متشابكة ؛ لهذا سمى مرسلا ؛ لأنه أرسل عن التقييد، فلم يقيد بعلاقات محددة، كما قيدت الاستعارة بعلاقة المشابهة، وإليك بعض العلاقات التى أشار إليها ابن علان منها:

علاقات المجاز المرسل:

(أ) ***السببية:*** وهى تسمية المسبب باسم السبب ٠ فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**))[١]٠

قال ابن علان مبينا موطن التجوز: " (فقال: إنى أخاف اللّه) أى: وخوفه يمنع من المعصية التى منها الزنى، فذكر السبب وأراد المسبب "[٢]٠ وكأنه ﷺ بتجوزه بالسبب عن المسبب أراد أن يبين لنا ضرورة وأهمية الخوف من الله، فعلى المؤمن أن يكون دائم المراقبة له فى كل وقت، فهذه آية المتقين، وسمة المؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٣]، فالمؤمن يعلم قبح الذنب، ومصدق بالوعيد عليه، ويخشى إن ارتكبه أن يُحرَم التوبة، أو لا يكون ممن شاء الله أن يغفر له، فإذا كان هذا ديدنه حيل بينه و بين محارم الله ﷻ ؛ وكان هذا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (من جلس فى المسجد ينتظر الصلاةوفضل المساجد): ١/٢٣٤، ح ٦٢٩ ٠

(٢) دليل الفالحين: ٣ /١٢٣ ٠

(٣) آل عمران:١٥٧ ٠

الخوف طريقا له للأمن فى الآخرة ؛ أما مَن لم يخشَ الله فإنه لا ينكفّ عن معصيته، ولا يمتثل أمره ٠

وعن عياض بن حمار ﷺ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **((أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذوعيال))** (١)٠

قال ابن علان: " (ورجل رحيم) من الرحمة، وهى ميل نفسانى إلى جانب المرحوم (رقيق القلب) بقافين من الرقة خلاف الغلظ والعنف، أى: إنه لصفاء قلبه ورحمته اللتين قامتا به خال عن الغلظ والعنف على الخلائق، بل يحنو عليهم، ويشفق فى أحوالهم، وقوله: (لكل ذى قربى ومسلم) تنازعه الوصفان قبله، ففيه إيماء إلى صلته للرحم ؛ لأن الداعي لها موجود مع فقد المانع، فكأنه قال: الثانى: واصل رحمه، فذكرالسبب مراداً به المسبب "(٢)٠

فالرسول ﷺ يريد لفت انتباهنا لنعمة من أجلَّ النعم وأعظمها، ألا وهى نعمة الرحمة ورقة القلب، ومنشأ ذلك إنما هو صفاء النفس، وطهارة الروح، وهذه الرحمة وتلك الرقة ليست مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها فى الخارج، بل إنها ذات آثار خارجية، ومظاهر حقيقية تتجلى فى عالم الشهادة، وذلك من خلال التعامل اليومى لهذا الإنسان الرحيم مع الآخرين، وخصوصا مع ذوى رحمه، فتجده يساعد ذوى الفاقة، ويعفو عن أصحاب الزلات والعثرات، ويغيث الملهوف٠٠إلخ، فإذا توالت منه تلك الآثار صارت الرحمة ملكة راسخة فى نفسه ؛ لهذا فقد عد الله ﷻ من صفات أصحاب اليمين التواصى بالرحمة فقال: **﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾**(٣)، كما توعد صاحب القلب الذى حُرم هذه النعمة بالويل والثبور فقال: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِاللَّهِ﴾**(٤)٠

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار): ٢١٩٧/٤، ح٠٢٨٦٥

(٢) دليل الفالحين:٣ /١٢٦ ٠

(٣) البلد:١٧ ٠

(٤) الزمر:٢٢ ٠

(ب) المسببية: وهى تسمية السبب باسم المسبب٠ فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء))** (١)٠

قال ابن علان: " (خرج من وجهه كل خطيئة) صغيرة متعلقة بحق الله تعالى (نظر إليها) **أى:** إلى سببها ؛ إطلاقاً لاسم المسبب على السبب مبالغة "(٢)٠ فالخطيئة لا يُنظر إليها، ولكن الذى ينظر إليه الفعل المخالف لأمر الله ﷻ، ففى التعبير بالمسبب وهو الضمير العائد إلى الخطيئة تنفير من المعصية، وبيان قبحها، وتذكيرا فى حق مَن قد أخطأت ؛ لذا فعلى المرء ألا يستصغر الذنب الذى اقترفه ولكن ينظر إلى عِظَم مَن عصاه، فبارتكابه لتلك الخطيئة قد يقطع عليه طريق النجاة، ويمنع دخول الأنوار الإلهية إلى قلبه، كما أن فيه تجسيما للخطيئة، فأصبحت ترى رأى العين ٠

(جـ) الجزئية: وهى تسمية الشىء باسم جزئه٠ وليس كل جزء صالحا لأن يعبر به عن الكل، بل لا يصلح لذلك إلا:

. جزء له زيادة اختصاص بالمعنى المراد من الكلام، كإطلاق اليمين على الذات٠

. جزء لا يتحقق الكل إلا به، كإطلاق العنق، والحقو، والوجه على جسم الإنسان٠

ـ جزء هو أشرف الأجزاء، كإطلاق القافية على البيت من الشعر٠

ومن شواهد هذه العلاقة عند ابن علان ما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: **((استأذنت النبى في العمرة فأذن لى، وقال: لا تنسنا يا أُخَىّ من دعائك، فقال كلمة ما يسرّنى أن لى بها الدنيا))** (٣)٠

فقد استعرض ابن علان الأوجه المحتملة فى إطلاق لفظ " كلمة " على الجمل المفيدة والتى يراد بها الكلام، فهى إما حقيقة لغوية، وإما مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل، أو استعارة باعتبار أن هذه الكلمات لما اجتمعت وتضامنت وارتبطت غاية الارتباط صارت في حكم الكلمة الواحدة، فيقول: "

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (خروج الخطايا مع ماء الوضوء): ١/٢١٥، ح٢٤٤٠

(٢) دليل الفالحين: ٣/٣٦٣.

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه: باب (الدعاء): ٢/٨٠، ح١٤٩٨٠

(كلمة) أراد بها معناها اللغوى، وهو الجمل المفيدة، وهل هو مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الكل أو استعارة مصرحة شبه الكلام بالكلمة فى توقف فهم المراد على تمام كل منهما، فأطلق عليه اسمها ؟ وجهان ذكرهما شيخنا الشيخ المحقق عبد الرحمن الحسانى، والمشهور في كتب النحو: الأول منهما، وعليه اقتصر ابن رسلان فى «شرح السنن» " [١].

وعن أنس ﷺ قال: **((كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبح حتى نحل الرحال))** [٢].

فلما كان تسبيح الركوع والسجود بعض الصلاة، عد ابن علان إطلاقه على الصلاة من تسمية الكل باسم البعض، حيث قال: " وقوله: " لا نسبح " أى: لا نصلى النافلة، وأطلق على الصلاة بطريق المجاز المرسل، من تسمية الكل باسم الجزء، ففيه مجاز مرسل تبعى " [٣].

كما أن ابن علان يرى أن المجاز المرسل إذا وقع فى الفعل كما فى " نسبح " فإنه يكون مجازا مرسلا تبعيا، وهو فى هذا يقتفى أثر العصام كما صرح بهذا فى موطن آخر من كتابه فقال: " وقد صرح العصام بأنه كما توصف الاستعارة بالتبعية . وهى ما كان فى الحرف أو المشتق . يوصف به المجاز المرسل، قال: ومنه قوله . تعالى: **﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** [٤] أى: إذا أردتم القيام إليها " [٥].

ففى هذا النص رد على ابن يعقوب والذى ذهب إلى أن البلاغيين لم يذكروا هذا النوع من المجاز المرسل حيث قال: " ويلزم كونه مجازا مرسلا تبعيا فى الفعل وما يشتق منه، ولو لم يذكروه " [٦] .

(د) الكلية: وهى تسمية الشىء باسم كله. فعن ابن عباس . رضى الله عنهما . قال: **((إن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده))** [٧].

---

(١) دليل الفالحين: ٢/٢٤٥، ٢٤٦ .
(٢) أخرجه أبو داود فى سننه: باب (فى نزول المنازل): ٣/٢٤، ح٢٥٥١.
(٣) دليل الفالحين: ٣/٤٦١ .
(٤) المائدة: ٦ .
(٥) دليل الفالحين:٣/٣٩٠ .
(٦) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٤/ ١٢٠ .
(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم خاتم الذهب على الرجال): ٣/١٦٥٥، ح٢٠٩٠.

يبين ابن علان المجاز مرسل وعلاقته والسر البلاغى وراءه بقوله: " أى: فى أصبعه مجاز مرسل من إطلاق الكل وإرادة الجزء، كقوله تعالى: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**﴾[١]، والمجعول الأنملة لا الأصبع كله، ولما كانت زينتها زينة لليد عبر به "[٢].

(هـ) اعتبار ما سيكون: وهى تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه فى المستقبل . ففى الحديث السابق الذى رواه ابن عباس . رضى الله عنهما . قال:)) **إن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ فى يد رجل، فنزعه فطرحه وقال:يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده))** [٣] .

قال ابن علان: " (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار) الأولى حمل مثله مما ورد فى الكتاب أو السنة ولا يحيله العقل على ظاهره أي: أن هذا الخاتم قطعة نار في الآخرة، وإنه محمول على المجاز، أى: يئول بلابسه لعظيم إثمه على أن يجعل النار فى محله ؛ لأن الجزاء يكون
على قدر الذنب وحسبه " [٤].

ففى هذا المجاز تصوير مرعب ومفزع، يزعج القلوب ويطير النوم من الجفون، وتحذير من عقاب صارم ينتظر أشباه هذا الرجل الذى نابذ الله . تعالى . فى المعصية، فاجترأ على معصيته غير مبال بذلك ؛ فتشبه بالنساء فيما خصهن الله به من الزينة، فما يلبسه فى حقيقة الأمر ليس ذهبا وإنما هو جمرة متقدة ؛ وفى هذا التصوير تنفير من لبسه، فى الوقت الذى أصبح البعض يستهين بهذا الأمر، ولا يعلم أن مَن تمتع بالصور المحرمة فى الدنيا غير مبال ولا تائب . عوقب بحرمانه منها فى الآخرة، جزاء وِفاقاً، فعليه إذا أن يوجه عنايته وهمه إلى ما هو أولى وهو الاشتغال بشئون دينه ودنياه.

---

(١) البقرة:١٩ .
(٢) دليل الفالحين: ٤٧٨/١ .
(٣)
(٤) دليل الفالحين: ٤٧٨/١ .

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول ﷺ: **((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله))**[١]. فسماهم موتى لأن الموت قد حضرهم، ولم يحملوه على تلقين الميت في القبر؛ لأنه واقع بالفعل فلم يحتج إلى التنصيص عليه ؛ لذا يقول ابن علان: " (لقنوا موتاكم) أى الآيلين إلى الموت، فسماهم بذلك مجازاً مرسلاً، أو لأنهم صاروا فى حكم الأموات "[٢] .

وقد قال الأستاذ أبو إسحاق بن حكم السلوى: هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازا، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم، والأصل الحقيقة ؟

" فلنا أن نقول: إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة ؛ لأن تلقينه قبل ذلك إن لم يدهش فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين، أى: لقنو مَن تحكمون أنه ميت . **أو نقول:** إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام، ألا ترى اختلافهم فيه: هل أخذ من حضور الملائكة، أو حضور الأجل، أو حضور الجلاس، ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليل على الحكم إلى وصف ظاهر يضبطها، وهو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه، بل بالعلامات، فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية إشارة إليها "[٣].

(و) الإطلاق: وهى تسمية المقيد باسم المطلق .فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

((إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامةً يوم القيامة))[٤].

قال ابن علان: " (وستكون ندامة يوم القيامة) أى لمن لم يكن من أهلها ولم يقم بحقها، إذ المطلق محمول على المقيد، وكونه حذف ذلك هنا ؛ تنفيراً عنها وتبعيداً منها، لما تقدم فيما قبله "[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: كتاب الجنائز، باب (تلقين الموتى لا إله إلا الله): ٦٣١/٢، ح٩١٦.
(٢) دليل الفالحين: ٣٩٦/٣ .
(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للتلمسانى: ٢١٩/٥ .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (ما يكره من الحرص على الإمارة): ٢٦١٣/٦، ح٦٧٢٩.
(٥) دليل الفالحين: ١٤٤/٣.

يقصد ابن علان أن هذا التنفير لا يشمل كل إنسان يتولى الإمارة، بدليل أنها قد وردت مقيدة فى خطاب الرسول ﷺ لأبى ذر ﷺ: " **يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها** "[١]. إذا فهذا الإطلاق يستشف منه أن الإمارة ينبغى ألا تكون مطمحا عاما ومطمعا لكل إنسان، إذ الإمارة أمر خطر، والقيام بحقوقها عسر، فلا ينبغى أن يرنو إليها مَنْ لا تتوفر فيه الأهلية، ولا يتطلع إليها مَنْ لمس من نفسه التقصير بواجباتها، أو لم يستطع القيام بها على الوجه الأكمل ؛ لأن في تولية مثل هذا هضما كبيرا لحقوق العناصر المتميزة ذات الكفاءة، والتى هى الأحق بتلك المناصب، مما ينعكس سلبا علي المجتمع بأفدح الخسائر ؛ لعدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، والذى من خلاله سيخدم المجتمع ويرتقي به ؛ لأنه سيعطى أفضل ما لديه من خبرات ؛ لإحساسه بالمسؤولية، وعدم إجحاف الحق .

(ز) اللزومية: وهى إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم .ومما استشهد به ابن علان لهذه العلاقة ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((غزا نبى من الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم . فقال لقومه: لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها...))**[٢].

يبين ابن علان المجاز المرسل وعلاقته فى قوله ﷺ: " **أن يبنى بها ولما يبن بها** " فيقول: " وكان عادة العرب إذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قبة من شعر ونحوه، فأطلق البناء وأريد به الدخول، من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم "[٣]. فالمجاز هنا قد أتاح للمتكلم التعبير عن أمور قد يتحاشى الإنسان عن ذكرها ؛ احتراماً للمخاطب، وتنزيها لأذنه عمّا تنبو عن سماعه، كما يبين لنا أيضا أن الغزو من الأمور المهمة التى ينبغى على المرء أن يخرج إليها وهو فارغ القلب من شواغل الدنيا، حتى يجتهد فيما خرج له، ويثبت فى القتال، أما إذا عقد على امرأة

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (كراهة الإمارة بغير ضرورة): ١٤٥٧/٣، ح١٨٢٥.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (قول النبىﷺ: أحلت لكم الغنائم): ١١٣٦/٣، ح٢٩٥٦.

(٣) دليل الفالحين: ١/ ٢٠٩ .

ولم يدخل بها، ظل قلبه متعلقا بالرجوع إليها، وشغله الشيطان عما هو فيه من الطاعة، فيضعف عزمه، ويسرى الجزع إلى قلبه، وأدخل بذلك الجبن على غيره ممن لا يريد الفرار[١].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((والذى نفسى بيده ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها))**[٢].

قال ابن علان: " والسخط المراد منه بالنسبة إليه . تعالى . غايته مجازاً مرسلاً من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم إما الانتقام فيكون صفة فعل، أو إرادته فيكون صفة ذات "[٣].

إذا كان سخط الله ﷻ يلزم منه عقاب وانتقامه وهو دخول النار؛ فعلى المرأة أن تعى هذا، وأن تقلع عن الامتناع عن زوجها إذا دعاها للفراش على أى حال كانت، إلا إذا كانت مريضة أو بها عذر شرعى من حيض أو نفاس، أما ما عدا ذلك فلا يجوز لها أن تتبرم أو تتثاقل وتتباطأ أو تنفره بأى طريقة كانت ؛ لأن هذا يدخل فى معنى النشوز، فالواجب عليها أن تجيبه راضية طيبة نفسها، محتسبة الأجرعند ربها ٠

(ح) الملزومية: وهى إطلاق اسم الملزوم وإرادة لازمه ٠ ومنه ما رواه ابن عمر . رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من خلع يداً من طاعةٍ لقى الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس فى عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليةً))**[٤]٠ فلما كانت البيعة للإمام تباشرها اليد من بين الأعضاء . وهو أن يضع البائع يده في يد الإمام عند عقد البيعة و أخذها عليه. فإطلاق خلع اليد على شق عصا الطاعة والخروج على الإمام إن لم يرد المعنى الحقيقى فهو مجاز، وإلا فهو كناية،قال ابن علان: " (من خلع يدا من طاعة)

---

(١) المصدر السابق:: ١/ ٢٠٩(بتصرف) ٠
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم امتناعها من فراش زوجها): ٢/١٠٦٠، ح١٤٣٦٠
(٣) دليل الفالحين: ٢/١١٠ ٠
(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين): ٣/١٤٧٨، ح١٨٥١٠

أى: خرج عنها بالخروج على الإمام، وعدم الانقياد له فى غير معصية بأى وجه كان، أطلق خلع اليد وأراد به لازمه وهو إبطال المبايعة بالخروج عن الطاعة مجازاً مرسلاً، قال العاقولى: يكنى بخلع اليد عن نكث العهد ؛ لأن المعاهد يضع يده فى يد من عاهد غالباً " [١]٠

وعن عمران بن الحصين . رضى الله عنهما ـ أن امرأةً من جهينة أتت النبى ﷺ وهى حبلى من الزنا، فقالت:((**يا رسول الله، أصبت حداً فأقمه على، فدعا رسول الله ﷺ وليها، فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فأئتنى بها ففعل، فأمر بها النبى ﷺ، فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها**))[٢]٠

كشف ابن علان عن المجاز ونوعه وعلاقته بقوله: " **(أصبت حداً)** أى: موجبه ومقتضيه، ففيه مجاز مرسل من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم" [٣]٠ فقد عبرت تلك المرأة عن المعصية الموجبة للحد بلفظ الحد، أى: أصبت ذنبا أوجب علىَّ حدا وعقوبة، وهذا التجوز يكشف لنا عن معاناة داخلية تكابدها تلك المرأة جراء ما اقترفته من ذنب، وهذا الذنب حمل ثقيل على نفسها وعلى لسانها أيضا، إذ لم تستطع البوح به ؛ لذا فهى تريد أن تتخفف من هذا الحمل فى أسرع وقت، وذلك بإقامة الحد عليها، كما يوضح هذا المجاز عن نية صادقة ورغبة عارمة من جانبها فى التطهر بالحد، فقد أرادت أن تلقى الله ﷻ طاهرة مطهرة دون أن تبالى بما تلوكه الألسنة فى حقها ٠

(ط) المحلية: وهى تسمية الشىء باسم المكان الذى يحل فيه ذلك الشىء٠ومنه ما رواه ابن عباس . رضى اللّه عنهما . قال: قال رسول اللّه ﷺ:((**إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب**)) [٤]٠

فقد أطلق الجوف . وهو البطن . على القلب، قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ**﴾ [١] ؛لذا يقول ابن علان: " **(ليس فى جوفه)** أى: ليس فى قلبه ؛ إطلاقاً لاسم المحل على الحال " [٢] ٠

---

(١) دليل الفالحين: ٣/ ١٢٩٠

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (من اعترف على نفسه بالزنى): ١٣٢٤/٣، ح١٦٩٦٠

(٣) دليل الفالحين: ٣٩٢/٣ ٠

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه: ١٨باب: ١٧٧/٥، ح ٢٩١٣ ٠

(ى) المجاورة: وهى تسمية الشىء باسم مجاوره ٠ فعن أبى سعيد الخدري ﷺ قال: كان النبى يقول: **((إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدمونى، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق))** (٣)٠

قال ابن علان: " (الرجال على أعناقهم) أى: على أكهالهم المقاربة لأعناقهم، ففيه مجاز مرسل علاقته المجاورة " (٤)٠

وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما . قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**((إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه٠٠٠))** (٥)٠

قال ابن علان: " قيل: المراد بالعرض البدن، أى طهر دينه وبدنه، وقيل: المراد به موضع المدح والذم من الإنسان سواء فى نفسه أو سلفه، ولما كان موضعها النفس حمل عليها من إطلاق المحل على الحال " (٦)٠

والحق أن هناك اختلافا دائرا بين علماء اللغة فى الوقوف على معنى العِرْض، قال ابن منظور فى حقيقة العرض: " وعرض الرجل: حسبه، وقيل: نفسه، وقيل: خليقته المحمودة، وقيل: ما يمدح به ويذم، وفى الحديث**((إن أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا))** (٧)، قال ابن الأثير: هو جمع العرض المذكورعلى اختلاف القول فيه " (٨) ٠ وإذا كان الأمر كذلك فيكون " العِرْض " من الألفاظ المشتركة، فلا يكون هذا الإطلاق معدودا من المجاز ٠

---

(١) الأحزاب: ٤ ٠
(٢) دليل الفالحين: ٣ /٤٩٤ ٠
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (حمل الرجال الجنازة دون النساء): ٤٤٢/١، ح١٢٥١٠
(٤) دليل الفالحين: ٣ /٤٢٦ ٠
(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (أخذ الحلال وترك الشبهات): ١٢١٩/٣، ح١٥٩٩٠
(٦) دليل الفالحين: ٣ /٢٨ ٠
(٧) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الخطبة أيام منى): ٦١٩/٢، ح١٦٥٢ ٠
(١) لسان العرب: مادة (عرض) ٠

(ك) الحالية: وهو تسمية المكان باسم ما يحل فيه ويقع فى ضمنه ٠ومما عده ابن علان من هذه العلاقة قول أصحاب الأعراف . حين يشيرون إلى أهل الجنة من ضعفاء المؤمنين . لرءوس الكفر الذين كانوا يعذبونهم تبكيتا وتحسيرا لهم: **﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾** [١]٠قال ابن علان مبينا المجاز ونوعه: " المراد منها هنا إدخال الجنة مجازاً مرسلاً، وقدمنا عن البدر الدماميني أنه يتعين في بعض المواضع تأويل الرحمة بالإحسان، ولا يجوز تأويلها فيه إرادة ذلك ؛ لأن المقام يأباه، كما يتعين عكسه فى بعض آخر" [٢]٠ وقد رأى الصبان أن فى الآية مجازا عن مجاز، فقال: " ففى رحمة الله يعنى: الجنة التى تحل فيها (الرحمة) بمعنى: آثارها المنعم بها، مجازا عن (الرحمة) بمعنى الإنعام، مجازا عن (الرحمة) بمعنى: رقة القلب) " [٣]٠

(ل) العموم: وهى أن يذكر اسم العام ويراد به الخاص ٠كقول أبى طلحة ﷺ: **((يا أم سليمٍ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ! فقالت: الله ورسوله أعلم))**[٤]قال ابن علان: " **(جاء رسول الله ﷺ بالناس)** هو وإن كان من صيغ العموم ؛ لكونه اسم جنس محلى بأل، إلا أن المراد هنا العموم العرفى، أى: الحاضرين مجلسه حينئذ، فهذا عام أريد به خاص، فهو مجاز قرينته الحال " [٥]٠

ومنه قول أنسٍ ﷺ لأبى طلحة . وهو زوج أم سليمٍ بنت ملحان .: " **يا أبتاه، قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابةٍ، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع، فدخل أبوطلحة على أمى فقال: هل من شىءٍ؟ قالت: نعم، عندى كسرٌ من خبزٍ وتمراتٌ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه ٠٠٠**" [٦]٠

---

(٢) الأعراف: ٤٩ ٠

(٣) دليل الفالحين: ٣ /٥٣،٥٢ ٠

(٤) الرسالة البيانية: ص١١٤، ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٤/ ٤٢،٤١ ٠

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (علامات النبوة فى الإسلام): ١٣١١/٣، ح٣٣٨٥ ٠

(٦) دليل الفالحين: ٥٠٨/٢ ٠

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك واستحباب الاجتماع على الطعام): ١٦١٤/٣، ح٢٠٤٠ ٠

قال ابن علان: " (هل من شيء ؟) من فيه مزيدة ؛ لتنصيص العموم، والمراد منه ما ينتفع به من الأقوات بقرينة المقام، فهو عام أريد به خاص " [١].

(م) التضاد: وهى إطلاق أحد الضدين على الآخر ٠فعن أنس ﷺ عنه قال: " **مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبى: وجبت، ثم مرّوا بأخرى، فأثنوا عليها شراً، فقال النبى: وجبت، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما وجبت ؟ هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء اللّه في الأرض** " [٢].

قال ابن علان: " هذا الحديث مؤيد للعزّ بن عبد السلام الشافعى ؛ حيث رأى أن الثناء حقيقة في الخير والشر، ورأى الجمهور أنه حقيقة فى الخير فقط، وعله في الحديث مجاز مرسل تبعى علاقته التضادّ " [٣].

والحقيقة أن أهل اللغة قد ذهبوا مذهب العز بن عبد السلام، وساقوا العديد من الحجج والأدلة التى جعلتنا نميل إلى عد إطلاق الثناء على الشر حقيقة لا مجازا، فقد قالوا: " يقال: أثنيت عليه خيرا و بخير، وأثنيت عليه شرا وبشر ؛ لأنه بمعنى وصفته، هكذا نص عليه جماعة منهم: صاحب المحكم، وكذلك صاحب البارع، وعزاه إلى الخليل، ومنهم محمد بن القوطية ٠٠٠ واقتصر جماعة على قولهم: أثنيت عليه بخير، ولم ينفوا غيره، ومن هذا اجترأ بعضهم فقال: لا يستعمل إلا في الحسن، وفيه نظر؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه، والزيادة من الثقة مقبولة، ولو كان الثناء لا يستعمل إلا فى الخير كان قول القائل: " أثنيت على زيد " كافيا فى المدح، وكان قوله: " وله الثناء الحسن " لا يفيد إلا التأكيد، والتأسيس أولى، فكان فى قوله: " الحسن " احتراز عن غير الحسن، فإنه يستعمل فى النوعين كما قال: والخير فى يديك، والشر ليس إليك. وفى الصحيحين **(مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا٠٠٠ ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا)** الحديث، وقد نُقل النوعان فى واقعتين تراخت إحداهما عن الأخرى، من العدل الضابط، عن

---

(٢) دليل الفالحين: ٢/٥١٢ ٠

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (ثناء الناس على الميت): ١/٤٦٠، ح١٣٠١ ٠

(٤) دليل الفالحين: ٣/٤٣٥ ٠

العدل الضابط، عن العرب الفصحاء، عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل أهل اللغة، فإنهم قد يكتفون بالنقل عن واحد، ولا يعرف حاله، فإنه قد يعرض له ما يخرجه عن حيز الاعتدال من دهش وسكر وغير ذلك، فإذا عرف حاله لم يحتج بقوله، ويرجع قول من زعم: أنه لا يستعمل فى الشر إلى النفى، وكأنه قال: لم يسمع فلا يقال، والإثبات أولى٠٠٠وقال بعض المتأخرين: إنما استعمل في الشر فى الحديث للازدواج، وهذا كلام من لا يعرف اصطلاح أهل العلم بهذه اللفظة "(١).

(٢) المصباح المنير: للفيومى: مادة (ث٠ن٠ى) ٠

الاستعارة

لم تلق الاستعارة من الحفاوة مثل ما لقى التشبيه ؛ وذلك لظروف تاريخية وموضوعية، تمثلت فى الواقع الشعرى الحافل بالصور التشبيهية، كما تمثلت فى طبيعة النظرة إلى الشعر على أنه تخييل عقلى يخاطب القوى المتخيلة فى الإنسان للإثارة والإقناع، ومن ثم ينبغى أن تكون العلاقات بين الأطراف واضحة، والتناسب بين الأشباء منطقيا، والخيال الذى يقوم بعملية التأليف منضبطا محكوما بقواعد العقل، وهذا ما لا يتحقق فى الاستعارة ؛ فالاستعارة أكثر توغلا فى الخيال، حيث تتحطم الحواجز بين طرفى التشبيه، بل تمتد لحذف أحد طرفيه، وربما يلجأ الشاعر إلى التقمص الوجدانى لمظاهر الطبيعة، مما أفزع النقاد فى بداية التنظير لمفهوم الشعر، ومن ثم لم يتعاطفوا مع الاستعارة [١].

وهذا لا يعنى أن النقاد قد أغفلوا قيمة الأسلوب الاستعارى ومدى فاعليته، وما له من غايات فنية يحققها فى الصورة الشعرية ؛ وما يضيفه إلى المعنى من مميزات خاصة نتيجة لما اشتمل عليه من نقل اللفظ والتوسع فى استعمالاته، مما أتيح له الدلالة على معانى أخر لا تتأتى من اللفظ خلال واقعه اللغوى، ولذا فهو أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حاله، أو تستوفى جملة جماله، وقد أشارغيرواحد من النقاد إلى الوضع الحقيقى للاستعارة ومنزلتها من التعبير الفنى، فنجد القاضى الجرجانى يقول:" فأما الاستعارة فهى أحد أعمدة الكلام، وعليها المعول فى التوسع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر" [٢].

وابن رشيق يرى أن " الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس فى حلى الشعر أعجب منها، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها " [٣].

---

(١) نظرية الشعر فى النقد العربى القديم: د/ عبد الفتاح عثمان: ص ١٩٠(بتصرف).
(٢) الوساطة: ص ٤٢٨.
(٣) العمدة: ٢٦٨/١.

ماهية الاستعارة:

لقد أشار ابن الأثير إلى المعنى اللغوى للاستعارة محاولا الربط بينه وبين المعنى الاصطلاحى، حيث قال: " الأصل فى الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التى هى ضرب من المعاملة، وهى أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما، يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا، إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار فى استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين فى نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر، كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشىء المستعار من أحدهما إلى الآخر " [(١)].

أما الاستعارة فى اصطلاح البلاغيين: فهى لفظ استعمل فى غير معناه لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى.

وإذا علمنا أن الاستعارة تعتمد التشبيه، وأنها امتداد له، إذ هى تشبيه حذف أحد طرفيه، وأداته، ووجه شبهه، فإن الاستعارة تتنوع إلى نوعين رئيسين باعتبار ذكر أحد طرفيها، وهما: الاستعارة التصريحية والمكنية:

أولا: الاستعارة التصريحية:

وهى ما صرح فيها بذكر لفظ المشبه به المستعار منه)، وحذف لفظ المشبه(المستعار له). وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى قسمين: ***(أ) الاستعارة الأصلية:*** وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، سواء أكان مدلوله ذاتا: كأسد وبحر، أم معنى كالنطق والقتل، أم متأولا باسم الجنس، كالعَلَم فى نحو: رأيت اليوم حاتما .

ومما عده ابن علان من الاستعارة التصريحية الأصلية ما رواه زيد بن أرقم ﷺ عن رسول الله ﷺ: **((ألا وإنى تارك فيكم ثقلين: أحدهما: كتاب الله، وهو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة))**[(٢)] .

---

(١) المثل السائر: ١/٣٤٧.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (من فضائل على بن أبى طالب ﷺ): ٤/١٨٧٤، ح٢٤٠٨

يبين ابن علان الاستعارة التصريحية بقوله: " **(أحدهما كتاب الله، وهو حبل الله) قال المصنف:** قيل المراد بحبل الله: عهده، وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: نوره الذي يهدى به. **قلت:** وهو على هذه الوجوه استعارة مصرحة، شبه ما ذكر فى الأقوال الثلاثة بالحبل، بجامع الوصل، فأطلق عليه اسمه " [١].

ففى هذه الاستعارة دعوة إلى اتباع القرآن الكريم، وترغيب فى تدبره، والعمل به، والدعوة إليه، فهو عصمة أمرنا فى كل الأمور ؛ فإذا كان الحبل يربط شيئاً بشىء فإن القرآن هو حبل ممدود طرفه بيد الله ﷻ وطرفه الآخرفى أيدينا، فمن تمسك بخيوط توجيهاته القويمة نجى، ومن اتبع هدى منهجه الحكيم، والتزم صراطه القويم فإنه حتماً لن يضل، أما إذا انفلتت خيوطه من أيدينا، ولم نحافظ عليها، فقد كتب علينا الهلاك والشقاء لا محالة ٠ وفى قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾**[٢] يبين ابن علان الاستعارة، ونوعها، والغرض منها بقوله: " والرجس: كل مستقذر، والمراد به هنا الإثم، وقيل: الشيطان ووسوسته، وقيل: الشرك، وقيل: جميع المعاصى، والجملة تعليل لأمر أزواجه ونهيهن على الاستئناف، ولذا عمم الحكم فقال (أهل البيت) ٠٠٠واستعارة الرجس للمعصية، والترشيح بالتطهير؛ للتنفير عنها " [٣]٠

فقد استعير للتعبير عن الإثم لفظ " رجس " وليس لفظ " نجس " ؛ لأن هناك نجاسة مطلقة كالثوب النجس . مثلاً . الذى وقعت عليه نجاسة، لكنه ليس نتناً، فإذا كانت النجاسة نتنة سميت رجساً، لعلك أدركت حينئذ ما فى هذه الاستعارة من تنفير بليغ عما يدنس الأعراض الحاصل بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه، وزجر شديد عن كل ما ليس فيه رضا لله، وكذا فى التعبير عن الاستجابة لما شرعه الله بالتطهير ترغيب فيها بليغ، وحث عليها شديد ٠

(ب) الاستعارة التبعية: وهى ما كان اللفظ المستعار فيها غير اسم جنس، فتشمل الأفعال والمشتقات والحروف ٠

---

(١) دليل الفالحين: ٢٠٤/٢ ٠
(٢) الأحزاب:٣٣ ٠
(٣) دليل الفالحين: ١٩٨/٢ ٠

وقد تطرق ابن علان إلى الاستعارة التبعية وهو بصدد الحديث عن المجاز المرسل التبعى فقال: " وقد صرح العصام بأنه كما توصف الاستعارة بالتبعية: وهى ما كان فى الحرف أو المشتق يوصف به المجاز المرسل " (١).

وقد عد جمهور البلاغيين الاستعارة فى الأفعال والمشتقات جارية فيهما بطريق التبعية ؛ وذلك نظرا لجريان الاستعارة فى المصدر أولا قبل جريانها فيهما ، وعلى هذا فالاستعارة التبعية تابعة للاستعارة فى المتبوع، فالكلى يشبه بالكلى، ثم يستعار له لفظ الكلى، فيسرى إلى الجزئيات، فيستعار جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه .

لكن العصام يرى أن الاستعارة مبنية على تشبيه تابع لتشبيه آخر، فلا يعتبرون الاستعارة فى المتبوع، وعلى هذا فالكلى يشبه الكلى، ثم يسرى التشبيه إلى الجزئيات، ويستعار جزئى من جزئيات المشبه به لجزئى من جزئيات المشبه (٢).

أما السكاكى فاختار رد الاستعارة التبعية إلى الاستعارة المكنية، وذلك بواسطة جعل قرينة التبعية مكنيا عنها، وجعل الاستعارة التبعية قرينة الاستعارة المكنية (٣).

ومن المعلوم أن جعل القرينة فى التبعية مكنيا عنها إنما يمكن إذا كانت قرينتها لفظية، أما إذا كانت قرينتها حالية فلا يمكن، إذ ليس هنا لفظ يجعل استعارة بالكناية، وهذا مما يضعف مذهب السكاكى (٤).

وقد حذا ابن علان حذو جمهور البلاغيين فى هذا، فمما عده من الاستعارة التبعية ما ورد فى قول خباب بن الأرت ﷺ: "**هاجرنا مع النبى ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فينا من مات لم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا**

(١) دليل الفالحين: ٣/٣٩٠ .
(٢) الرسالة البيانية : ص١٧٢ .
(٣) مفتاح العلوم: ص ٣٨٤، ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: ٤/٢١١ .
(٤) مواهب الفتاح، وحاشية الدسوقى ضمنا شروح التلخيص: ٤/٢١١ .

غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن يغطى رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يَهْدِبُهَا "(١).

قال ابن علان مبينا الاستعارة ونوعها: " جملة قوله:(أينعت٠٠٠إلخ) ٠٠٠يحتمل أن يكون استعير يهدبها لمعنى التمكن منها، فتكون استعارة تبعية، شبه التمكن من الدنيا بالهدب . وهو القطف للثمرة . بجامع سهولة الوصول فى كل، فأطلق اسم المشبه على المشبه به استعارة مصرحة مرشحة بقوله: (أينعت)، ثم سرت الاستعارة منه إلى الفعل "(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: ((**<u>إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ؛ فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة</u>**)) (٣).

قال ابن علان: " قوله: (**استعينوا إلخ٠٠٠**) (استعارة) بأن شبه استعانة السالك فى استعماله فى سلوكه أوقات النشاط المقرّبة لوصوله لغاية سلوكه، باستعانة المسافر السفر الحسى بسيره فى هذه الأوقات التى تنشط فيها الدواب، وتقطع فيها المسافات التى يقرب بقطعها من المقصد، ثم سرت الاستعارة منه إلى الفعل، فهى استعارة مصرحة تبعية ٠(وتمثيل) بأن شبه ما يقع من السالك من الاستراحة وقتها، والتعبد أوقات النشاط والفراغ، بحلول المسافر تارة وارتحاله في أوقات النشاط أخرى، فى الوصول إلى المقصد، فالواو فى كلامه بمعنى أو الاستعارة فى الوجه الأخير للمجموع، ويحتمل أن يكون مراد المصنف أن ذلك استعارة تمثيلية " (٤).

ويقول السيوطى: " وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا فى الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة " (٥).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (إذا لم يجد كفنا إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غطى رأسه): ٤٢٩/١، ح١٢١٧ ٠

(٢) دليل الفالحين: ٤١٨/٢ ٠

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الدين يسر): ٢٣/١، ح٣٩ ٠

(٤) دليل الفالحين: ٣٨٥/١ ٠

(١) حاشية السيوطى ضمن شرح سنن النسائى: ٦ / ٤٣٦ ٠

الاستعارة فى الحرف: ذكر ابن علان فيما نقله عن العصام أن التجوز فى الحرف معدود من قبيل الاستعارة التبعية، لكنه لم يشر فى تعقيباته إلى نوع هذه التبعية فى الحرف، بل اقتصر صنيعه على إطلاق مصطلح " المجاز " على هذا النوع من التجوز ٠وقد ذهب جمهور البلاغيين إلى أن الاستعارة فى الحرف تابعة للاستعارة فى متعلقات معنى الحرف، وهو ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها، مثل قولنا: " فى " معناها الظرفية، وهذا المعنى الكلى هو الذى تعلق به معنى الحرف ٠ لكن الخطيب القزوينى ذهب إلى أنها تابعة للتشبيه فى متعلقاتها مع مجروراتها، فيسرى التشبيه من الكلى للجزئى، فتستعير جزئى المشبه به لجزئى المشبه [١] ٠ بينما العصام يرى أنها تابعة للتشبيه فى متعلقاتها، ولا داعى لاستعارة اسم المشبه به الكلى للمشبه الكلى [٢]٠

ومن شواهد التجوز فى الحرف عند ابن علان: الحديث الذى رواه أبو هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **صلاة الرجل جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ، فأحسن الوضوءً ، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه٠٠**" [٣]٠ ترى ابن علان يقول: " (كان) الرجل (فى الصلاة) أى: فى ثوابها ٠ وهذا مجاز، فإن الصلاة أو ثوابها ليس ظرفا "[٤]٠

فقد شبه مطلق ملابسة شىء لشىء بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف، واستعرنا المشبه به للمشبه، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيين، ثم استعير " فى " الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به، وهى الظرفية الخاصة، لجزئى من جزئيات المشبه، وهى ملابسة ثواب الصلاة للمصلى٠

---

(٢) ينظر: الإيضاح: ٥/ ٩١ ٠ وينظر: تعليق د/ خفاجى على الإيضاح: ٥/ ٩٤ ٠
(٣) الأطول: ٢/ ٢٧٦ ٠
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الدين يسر): ٢/٧٤٦، ح٢٠١٣ ٠
(٥) دليل الفالحين: ١/٦٥٠

وهذه الاستعارة تؤكد على أهمية وفضل الجلوس فى المساجد وانتظار الصلاة، فمن رحمة الله بعباده وجزيل كرمه أن رتب على جلوسهم فى المساجد وانتظار الصلاة كأجر المصلى، لا ينقص من أجره شيء لهم ؛ لأن هذا الوقت بمثابة تهيئة واستعداد قبل الدخول فى الصلاة، والبعد عن شواغل الحياة، وكأنه جزء مكمل للصلاة، فمن اغتنم هذا الوقت فى قراءة القرآن، أو ذكر الله، أو الاجتهاد فى الدعاء، ثم دخل فى الصلاة كان فى قمة تركيزه واستحضاره لمعية الله ﷻ، فيكون تأديته لها فى نهاية الخضوع وتمام الخشوع، وكان ذلك عصمة له من السهو والنسيان، فمن فاته هذا الوقت أو لم يحسن استغلاله فقد فاته خيرٌ كثير، وحرم نفسه وبخل عليها بأجر عظيم ٠

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت: **((أن النبى كان إذا خرج من بيته قال: بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذ بك من أن أَضِل أو أُضَل، أو أَزِلّ أو أُزلّ٠٠))** (١)٠

قال ابن علان مشيرا إلى التجوز فى الحرف: " **(توكلت على الله)** و "على" فى هذا المقام للتفويض مجازاً عن الاستعلاء، وقيل: المراد من توكلت على الله طلب الاستعلاء بالله تعالى على كل مرام لتصحبه إعانته ولطفه وتحفظه من غير قصور" (٢)٠

هذا وهناك آراء أخرى فى التجوز فى الحرف: فالرازى يمنع التجوز فى الحرف مطلقا، ويرد مثله إلى الاستعارة التمثيلية (٣)، ولعله أخذ بظاهر عبارة "الكشاف " والتى تقتضى جواز كون الاستعارة التمثيلية تبعية، فإنه قال: " ومعنى الاستعلاء فى قوله: **﴿عَلَى هُدًى﴾**(٤) أنه مثل لتمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، فشبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه " (٥)٠

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه: باب (ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول): ٤/٣٢٥، ح٥٠٩٤ ٠
(٢) دليل الفالحين: ١/٢٧٨ ٠
(٣) ينظر: تعليق د/ خفاجى على الإيضاح: ٥/ ٨٦ ٠
(١) البقرة: ٥ ٠
(٢) الكشاف: ١/ ٢٦٠

وقد رده السيد الشريف بأن معانى الحروف مفردة، إذ المعنى المفرد ما دل عليه بلفظ مفرد، وإن كان ذلك المعنى مركبا فى نفسه، ولما كان كل واحد من طرفى التشبيه فى الاستعارة التمثيلية حالة منتزعة من عدة أمور لزمه أن يكون كل واحد منهما مركبا، وحينئذ لا يكون معنى الاستعلاء مشبها به أصالة، ولا معنى "على" مشبها به تبعا فى هذا التشبيه المركب الطرفين ؛ لأنهما معنيان مفردان، وإذا لم يكن شىء منهما مشبها به سواء جعل جزءا من المشبه به أو خارجا عنه، لم يكن شىء منهما مستعارا منه ، فكيف سرى التشبيه
من أحدهما إلى الآخر فتأمل [١].

بينما أطلق الطوفى مصطلح " المجاز " على هذا النوع، إلا أنه رفض عده من الاستعارة، فقال: " واعلم أن الاستعارة تقع فى الأسماء نحو: رأيت ليوثا، وفى الصفات نحو: رأيت صما عن الخير، وفى الأفعال نحو: أضاء الحق وأقبل وانقمع الباطل وأدبر . ولقائل أن يقول: هذا مجاز فى النسبة لا فى نفس الفعل . وفى الحروف، كإقامة بعضها مقام بعض نحو ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [٢] أى: منها، ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾[٣] أى: عنه...والحق أن هذا مجاز وليس استعارة ؛ إذ لا تشبيه فيه " [٤].

وذهب غير باحث فى إقامة بعض الحروف مقام بعض إلى حمل هذا على التوسع فى استعمال الفعل، أو ما يقوم مقامه، فى معنى لا يتبادر منه لأول وهلة، فهو من باب (التضمين فى الفعل) ؛ " ذلك أن الحروف مبان فارغة من المعانى المحددة، لذا فإن الغموض يكتنفها ويحيط بها من كل جانب...بينما الأفعال تدل على معانيها بصيغتها فى كثير من الأحيان، لأجل ذلك كان من السهل لحظ التضمين فيها إذا خرجت عن معانيها الأصلية أو بدا الاتساع فى معانيها، إذ إنها بذلك تبرز المعانى الأسلوبية المستكنة بداخل هذه الأفعال، بواسطة حروف الجر

(٣) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ١٤٧/٤ .
(٤) المطففين:٢٨ .
(٥) الفرقان:٥٩ .
(٦) الإكسير فى علم التفسير: للطوفى: ص١١٢، ١١٣ .

التى تشكل عاملا مساعدا لإبراز هذه المعانى الكامنة فى تيك الأفعال المتعدية بها " [١].

ثانيا: الاستعارة المكنية:

لقد اختلفت كلمة البلاغيين فى تشخيص المعنيين اللذين يطلق عليهما هذان اللفظان " استعارة بالكناية " و" استعارة تخييلية "، وإليك البيان:

(أ) رأى الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ):

ذهب الزمخشرى إلى أن الاستعارة المكنية هى: لفظ المشبه به المحذوف الذى استعير فى النفس للمشبه، وإثبات لازمه للمشبه استعارة تخييلية [٢].

وقد نوقش هذا المذهب: بأن القول باستعارة اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه تكلف ظاهر.

(ب) رأى السكاكى (ت ٦٢٦هـ):

الاستعارة المكنية عنده هى: لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به، على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وذكر لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه استعارة تخييلية [٣].

وهذا المذهب مردود عليه بأمور: **الأول:** أن كون لفظ المشبه مستعملا فى المشبه به أمر مخالف للواقع ؛ لأن القائل ***وإذا المنية أنشبت أظفارها*** لم يرد أظفار الموت المتخيلة، فهو لم يستعمل المنية إلا فى معناها الحقيقى وهو الموت لا السبع ٠

الثانى: أن قوله عند إجرائه للاستعارة: لفظ " المنية " نقل من مطلق موت إلى موت متحد بالسبع، يقتضى أن يكون مجازا مرسلا من قبيل إطلاق المطلق على

---

(١) " التضمين فى الأفعال بين النحاة وأهل البيان " بحث للدكتور/ محمد محمد عبد العليم: ص ٧١٠ ٠

(٢) ينظر: حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٤/١٥٠. وينظر: التصوير البيانى: د/ محمد أبو موسى: ص٢٦٧ ٠

(٣) مفتاح العلوم: ص ٣٧٨، ٣٧٩.

المقيد، لا مجازا علاقته المشابهة حتى يكون استعارة، وكلامنا فى الاستعارة لا فى المجاز المرسل.

الثالث: أنه لا وجه لتسمية الاستعارة . حينئذ . مكنية بل هى جديرة بأن تسمى مصرحة ؛ لأن اللفظ الذى سماه استعارة مصرح به فى الكلام [١].

(جـ) رأى الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩هـ):

يرى أن الاستعارة المكنية عنده هى: التشبيه المضمر فى النفس المتروك أركانه سوى المشبه، وإثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية [٢].

وهذا المذهب مردود عليه: بأن الاستعارة هنا ليست كلمة ولا استعمال كلمة، وإنما هى فعل من أفعال النفس، لذا فإن إطلاق اسم الاستعارة عليه لا وجه له، إذ هى مجرد تسمية خالية عن المناسبة، وإن صح وجه تسميتها مكنية؛ لأن التشبيه مضمر ٠

أما ابن علان فقد مال إلى رأى الخطيب القزوينى فى الاستعارة المكنية والاستعارة التخييلية وجعله مذهبا له، وقد اختاره لإجرائه على بعض الاستعارات، ومن ذلك تعقيبه على كلام المصنف فى مقدمته: ((**الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، تذكرة لذوى القلوب والأبصار، وتبصرة لذوى الألباب والاعتبار، الذى أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهدهم فى هذه الدار**)) [٣] ٠

فقال: " (الذى أيقظ) أى نبه من سنة الغفلة، ففيه استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية، شبه الغفلة بالنوم بجامع انتفاء الكمال فى كل منهما ٠٠٠والتشبيه المضمر فى النفس اسمكنية، وإثبات الإيقاظ . الذى هو من لوازم المشبه به . استعارة تخييلية " [٤].

---

(١) البلاغة التطبيقية: د/أحمد موسى: ص ٢١٠(بتصرف).
(٢) الإيضاح: ١٢٣/٥،١٢٤.
(٣) دليل الفالحين: ١٤/١:١٦.
(١) المصدرالسابق: ١٦/١ ٠
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (قول النبىﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا): ٥٦٦/٤، ح٢٣١٢ ٠

كما أشار ابن علان إلى المذهب الأول والثالث، فعن أبى ذرﷺ قال: قال رسول الله:ﷺ ((**إنى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله**)) [(١)].

قال ابن علان: " معنى هذا الكلام (أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلها حتى أطت) أى: حصل الصوت منها كما يحصل من الرجل إذا ركب عليه، أجرى المصنف الكلام على ظاهره٠٠٠ وقال ابن أقبرس: وهذا عندى على طريق الاستعارة بالكناية، شبهت السماء بذى الصوت من الإبل، ثم ذكر شيئاً من لوازم الإبل والأقتاب المركوب عليها، وهو الصوت المعبر عنه بقوله: " أطت " ؛ لينتقل الذهن منه إليه٠٠٠ وما ذكره من أن الاستعارة المكنية لفظ المشبه به مراداً به المشبه مذهب فيها، ومذهب الخطيب وعليه الجمهور أنها التشبيه المضمرفى النفس، وقرينتها الاستعارة التخييلية:أى إثبات لازم المشبه به للمشبه"[(٢)].

وأود إزاء هذا النص أن أشير إلى أمرين: **الأول:** أن ما عده ابن علان مذهبا للخطيب فإنه قد استقاه من فحوى كلام عبد القاهر، حيث سمى التشبيه الذى ذكره عبد القاهر استعارة مكنية مستمدا تلك التسمية من سابقيه كالرازى والسكاكى، كما سمى الخطيب الاستعارة التى دار حولها كلام عبد القاهر . وهى إضافة لازم المشبه به إلى المشبه . استعارة تخييلية، وجعلها قرينة للاستعارة المكنية [(٣)].

ولهذا نجد الدكتور/ أحمد موسى بعد أن عرض كلام الخطيب القزوينى على ما قاله عبد القاهر، واتضح له مدى تطابقهما، دفعه ذلك إلى تصحيح الخطأ المتوارث لدى الدارسين، فقال: " ومن هنا تدرك الخطأ الذى وقع فيه المتأخرون على بكرة أبيهم، حيث اعتبروا الخطيب مبتكرا لهذا المذهب المنسوب ظلما إليه، وكأنهم لم يَرِدُوا هذه الموارد العذبة التى فجرعبد القاهر ينابيعها فى كتابه (أسرار

---

(٣) دليل الفالحين: ٣٠٢/٢، ٣٠٣ .

(٤) أسرار البلاغة: ص ٤٢: ٤٤، المطول: ص ٣٨٣،٣٨٤، وتابعه الدكتور / أحمد موسى فى: البلاغة التطبيقية: ص ٢٠٤، والدكتور/ محمد أبو موسى فى: التصوير البيانى: ص ٢٦١. والدكتور/ عبد الفتاح لاشين فى: البيان فى ضوء أساليب القرآن: ص ٢١٦،٢١٧.

البلاغة) و(دلائل الإعجاز)" [١].

الثانى: أنه عد مذهب الخطيب القزوينى مذهبا للجمهور، والحق **أن** جمهور البلاغيين قد اختاروا رأى الزمخشرى مذهبا لهم .

وإذا كان ابن علان قد ارتضى مذهب الخطيب القزوينى فى الاستعارة المكنية، فإنه قد اختار مذهب الخطيب والزمخشرى فى قرينة الاستعارة المكنية والمتمثل فى كون إثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية، ثم حذا حذو الزمخشرى فى كون قرينة الاستعارة المكنية كما تكون تخييلية فإنها تكون أيضا استعارة تحقيقية، فيقول: " وفى «رسالة الاستعارة» للخوجة أبى القاسم السمرقندى جوز صاحب الكشاف كونه . أى الأمر الذى أثبت للمشبه من خواص المشبه به . استعارة تحقيقية فى بعض المواد كما فى قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾** [٢]، استعير الحبل المضمر فى النفس للعهد، بجامع الوصلة على سبيل الكناية، واستعير النقض لإبطاله . أى إبطال العهد . على سبيل التصريح، بجامع مطلق الإبطال " [٣] .

الاستعارة التمثيلية:

هى اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى[٤].

وقد أثار ابن علان قضية ألا وهى: هل يشترط التصريح بتمام اللفظ المركب الدال على الصورة المشبه بها، أو يكتفى الاقتصار ببعضها ؟ ففى الحديث الذى رواه ابن عمر . رضى اللّه عنهما . قال: قال رسول اللّه ﷺ: **((بنى الإسلام على خمس..))** [٥].

---

(١) البلاغة التطبيقية: ص ٢٠٨، والبيان فى ضوء أساليب القرآن: د/عبد الفتاح لاشين: ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢) البقرة: ٢٧.

(٣) دليل الفالحين: ١٧٩/٢ .وينظر: الأطول: ٣٣٠/٢ .

(٤) الإيضاح: ١٠٧/٥ (بتصرف).

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه: كتاب الإيمان، باب (الإيمان): ١٢/١، ح٨ .

ترى ابن علان يكتفى ينقل آراء العلماء فى نوع الاستعارة الواردة فى هذا الحديث فيقول: " وفى الحديث على هذا استعارة تمثيلية، شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة، بحالة خباء أقيم على خمسة أعمدة، فقطبها التى تدور عليه الأركان وهو الشهادة بمنزلة العمود الذى فى وسط الخباء، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد، فتكون مغايرته لهذه الأركان كمغايرة الخباء للأعمدة، قاله الكازونى٠

وخالفه الدلجى فقال: وفى الحديث استعارة مكنية، فتشبيهه به استعارة مكنية، وتشبيه الخمس بالأعمدة تشبيه بليغ بشهادة زيادة عبد الرزاق «خمس أعمدة» وهو قرينة المكنية٠٠٠ وإسناد البناء إليه ترشيح، وليس استعارة تمثيلية وإن زعم ؛ إذ لم يذكر المشبه به الذى هو من شرطها كما فى: مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى٠٠٠" [١]٠

والحقيقة أن هناك خلافا دائرا بين البلاغيين حول هذه القضية، فالعلامة السيد الشريف الجرجانى يذهب إلى أنه لا بد فى المجاز المركب من ضرورة التصريح بتمام المركب الدال على الصورة المشبه بها ٠بينما يذهب سعد الدين التفتازانى إلى أنه لا يشترط التصريح بجميع عناصر المشبه به، بل يكفى التصريح ببعضه ٠[٢]

وابن علان وإن لم يصرح برأيه فى هذا الخلاف إلا أن تعقيباته تنبئ عن ترجيحه لمذهب السعد، ففى قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] يقول معقبا على اختلاف العلماء: " ولا مخالفة بين كونه كناية واستعارة: أى تمثيلية ؛ لاختلاف الاعتبار "[٤] ٠ ففيه تشبيه تقريب الرسول ﷺ لأتباعه من فقراء المسلمين وضعفائهم وتواضعه لهم وترفقه بهم، بالطائر إذا ضم الفرخ إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على فرخه، فقد اتضح لك أنه لم يذكر الصورة المشبه بها كاملة، بل ذكر بعضها، وهو خفض الجناح ٠

(١) دليل الفالحين: ٣/٥٧٥ ٠
(٢) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٤/١٤٢.
(٣) الحجر:٨٨ .
(٤) دليل الفالحين: ٣/ ٥٠ ٠

ومن الاستعارة التمثيلية التى صرح بها ابن علان: قول خباب بن الأرت: **((هاجرنا مع النبى ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، وترك نمرة، فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا النبى ﷺ أن نغطى رأسه ونجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها))**[١]٠

يقول ابن علان: " جملة قوله: (أينعت٠٠٠إلخ) استعارة تمثيلية: شبه حالهم فى تمكنهم من الدنيا التى فتح عليهم بها وتمكنوا منها بتمكن ذى الثمرة النضيجة من قطفها واجتنائها " [٢]٠

المجاز بالحذف:

يطلق هذا المجاز على كل كلمة نقلت عن إعرابها الأصلى، الثابت لها إلى إعراب غيره، بسبب حذف لفظ ٠ وعلى هذا فليس كل حذف مجازاً ؛ لأن الحذف الذى لا يوجب تغييرا فى الحكم الإعرابى الأصلى للكلمة، لا تسمى معه الكلمة مجازا، وهذا هو المشهور [٣]٠وقد جرى ابن علان على الرأى المشهور، وأقر بمجاز الحذف، ففى الحديث الذى رواه أبو هريرة ﷺ عن النبى قال: **((سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))** [٤]٠

يقول ابن علان: " والقصد من الحديث الحثّ على المبالغة فى إخفاء الصدقة، بحيث إن شماله مع قربها من يمينه وتلازمها لو تصوّر أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين ؛ لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه، ويؤيده

---

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (إذا لم يجد كفنا إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غطى رأسه): ١/ ٤٢٩، ح١٢١٧ ٠

(٣) دليل الفالحين: ٤١٨/٢ ٠

(٤) ينظر الإيضاح: ٥/ ١٥٥ وما بعدها ٠

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الصدقة باليمين): ٢/ ٥١٧، ح١٣٥٧ ٠

أنه جاء فى رواية «تصدق بصدقة كأنما أخفى يمينه عن شماله»، ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف، أى: حتى لا يعلم ملك شماله"[١]٠

فمجاز التشبيه الذى أشار إليه ابن علان هو الاستعارة بالكناية، وذلك على اعتبار أنه شبه الشمال بإنسان متيقظ، وذكر اليمين استعارة تخييلية، وهذه الاستعارة تفيد المبالغة فى الإخفاء والاستتار بالصدقة، والتبعيد بها عن مظان الرياء ٠أما لو اعتبرته من مجاز الحذف فهذا لأنه قد تحقق فيه شرطه، بالإضافة إلى أن فيه زيادة مبالغة، وتقدير المحذوف يحتمل وجهين: ذكر ابن علان أحدهما وهو: أى ملك شماله، والتقدير الآخر: أى من على شماله من الناس، كأنه قيل: مجاور شمالهما، وعلى التقدير الذى ذكره ابن علان فيكون من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وقد عده فريق من العلماء من المجاز العقلى لا اللغوى، قال الزركشى: " وذهب المحققون إلى أن حذف المضاف ليس من المجاز ؛ لأنه استعمال اللفظ فى غيرما وضع له، ولأن الكلمة المحذوفة ليست كذلك، وإنما التجوزفى أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف" [٢]٠ بل إن بعض أهل العلم أنكر المجاز بالحذف، فقد " حكى إمام الحرمين فى التلخيص عن بعضهم أن الحذف ليس بمجاز ؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه، والحذف ليس كذلك" [٣]٠

ويستعرض العلامة التفتازانى رأى السكاكى مفندا إياه حيث لم يأت بجديد يذكر، فيقول: " **ورأيى فى هذا النوع** أن يعد ملحقا بالمجاز ومشبها به ؛ لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل إلى غير ذلك الأصل، لا أن يعد مجازا ؛ ولهذا لم أذكر الحد شاملا له، لكن العهدة فى ذلك على السلف ؛ **وفيه نظر**؛ لأنه إن أراد بعده عن المجاز إطلاق لفظ المجاز عليه، فلا نزاع له فى ذلك، سواء كان على سبيل المجاز أو الاشتراك، وإن أراد أنهم جعلوه من أقسام المجاز اللغوى المقابل للحقيقة، المفسر بتفسير يتناوله وغيره، فليس كذلك ؛ لاتفاق السلف على

---

(٢) دليل الفالحين: ٢٥٣/٢ ٠

(٣) البرهان: ٢٧٤/٢ ٠

(٤) المصدر السابق: ٣ / ١٠٣ ٠ وقال السيوطى فى إطار حديثه عن المجاز فى المفرد: " وأنواعه كثيرة، أحدها: الحذف، وسيأتى مبسوطاً فى نوع المجاز، فهو به أجدر، خصوصاً إذا قلنا: إنه ليس من أنواع المجاز". ينظر: الإتقان:٣ /٩٨ ٠

وجوب كون المجاز مستعملا في غير ما وضع له ٠٠٠فظاهر أنه لا يتناول هذا النوع من المجاز ؛ لأنه مستعمل في معناه الأصلي٠٠٠وأما تقسيمهم المجاز إلى هذا النوع وغيره، فمعناه أنه يطلق عليهما كما يقال: المستثنى متصل ومنقطع، فلا نعرف للسكاكي ههنا رأيا يتفرد به " [١] ٠

ونستطيع من خلال هذا النص القول: بأن ظاهر اختلاف العلماء هو في باطنه اتفاق، إذ الجميع متفق على أن الحذف في حد ذاته ليس مجازا قائما بنفسه منفصلا برأسه ؛ وإنما إطلاقهم مصطلح " المجاز" على هذا النوع من الحذف يختمل أحد أمرين:

الأول: أن يكون واردا على سبيل الاشتراك، وذلك بأن يقال: لفظ " مجاز " وضع بوضعين أحدهما: للكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة، والثاني: للكلمة التي تغير حكمها الإعرابي، وحينئذ يكون إطلاق لفظ "المجاز " عليها حقيقة٠

والثاني: أن يقال: إن إطلاق مصطلح " المجاز" على هذا النوع من الحذف وارد على سبيل الاستعارة التصريحية ؛ لأن الكلمة التي انتقلت عن إعرابها الأصلي لما شابهت الكلمة التي انتقلت عن معناها الأصلي، بجامع الانتقال عن الأصل في كل، استعير اسم المشبه به وهو لفظ " مجاز " للمشبه [٢]٠لكن هذا لا يمنع أن " المحذوفات قد يترتب عليها مجاز، ولكنه مجاز مندرج تحت نوع من أنواع المجاز المعروفة، لا مجاز قائم بنفسه " [٣]٠

الكناية

الكناية في اللغة والاصطلاح:

الكناية في اللغة: مصدر (كَنَيْت) أو (كنَوْت) بكذا عن كذا: إذا تركت التصريح به، ومنها أخذت الكنية ؛ لأن فيها مواراة للاسم، وعدم التصريح به، وقيل: أصلها " كنانة " بنونين ؛ لأنها من " الكن " وهو الستر [٤]، وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ**

(١) المطول: ص٤٠٦ ٠
(٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص: ٤/٢٣١ ٠
(٣) المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم: ١/ ٤٢٧ ٠
(١) الإكسير في علم التفسير: للطوفي:ص١١٨ ٠

﴿ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ [١]، أي: إذا سترتم طلبكم وأضمرتموه في قلوبكم، فلم تذكروه بألسنتكم لا مصرحين ولا معرضين، ويقول ابن منظور: " الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره " [٢].

وإذا كانت المادة المعجمية للفظة " الكناية " تدور حول معنى الستر والإخفاء، فقد كان هذا المعنى اللغوى هو منطلق البلاغيين إلى إطلاق مصطلح " الكناية " على نوع خاص من الأساليب يُستر فيها المعنى المراد – الكنائى – بالمعنى المباشر أو الأصلى ؛ لذا فقد دأب علماء البلاغة على ذكر تعريفات كثيرة له، أكثرها ذيوعا تعريف الخطيب القزوينى، حيث حدها بقوله: فى اصطلاح البلاغيين: " لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ"[٣].

يتضح لنا من تعريف الكناية أن العلاقة بين المعنى الأصلى للفظ والمعنى المراد أو الكنائى هى اللزوم، وليس المراد به حصره فى دائرة (اللزوم العقلى)، والذى يعنى به امتناع الانفكاك فى الذهن أو الخارج، بل المراد به ما هو أعم من ذلك، حيث يقصد باللزوم بين المعنيين مطلق الارتباط ولو بعرف عام أو خاص:

فالعرف العام: هو ما يتعارف عليه الجنس البشرى من العادات والتقاليد ولا يختلف باختلاف الأزمنة والعصور، فمن شواهد المتعارف عليه لدى الجميع: ذلك التلازم الواقع بين هيئة تصعير الخد وليِّه وبين الغرور والتكبر والتعالى، لذا فقد قال الله . تعالى .: **﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾**[٤].

أما العرف الخاص: فهو ما يسود فى بيئة بعينها أو فى عصر خاص من أعراف وتقاليد، كقولهم فى الكناية عن الكريم: " فلان جبان الكلب، مهزول الفصيل " فهاتان الكنايتان ترتبطان ارتباطا وثيقا بما شاع فى البيئة العربية القديمة من أنماط سلوكية، وأعراف وعادات اجتماعية سائدة فيها، إذ استقر العرف العربى آنذاك على أن جبن الكلب ناشئ عن معاودة زجر صاحبه له كلما همَّ بالنباح على

---

(٢) البقرة: ٢٣٥ .
(٣) لسان العرب: مادة (كنى) .
(٤) الإيضاح: ١٥٨/٥ .
(١) لقمان: ١٨ .

ضيف قادم على داره، ومن ثم فقد امتنع عن النباح فى وجوه زائريه ؛ لكثرة ترددهم على بيت صاحبه، وهذا يستلزم شهرة صاحبه بالكرم. كذلك هزال الفصيل ناشئ عن حرمانه من لبن أمه، وتقديمه للضيوف، أو حرمانه من الأم نفسها، وذلك بذبحها إيثارا لهؤلاء الضيوف وحفاوة بهم ٠

فهاتان الكنايتان وأمثالهما لا تفهم إلا فى ضوء المعرفة بعادات العرب وتقاليدها ؛ لاختلاف العرف من عصر إلى عصر، ومن بيئة لأخرى، لهذا فقدت هذه الكنايات إيحاءاتها ودلالاتها لدى المعاصرين [١]٠

هذا وسيجد المتصفح لشرح ابن علان أن مصطلح " الكناية " لديه قد أطلقه تارة مرادا به المعنى اللغوى وهو الستر والخفاء، مثال ذلك: ما يعرف بألفاظ الكناية، فقد روى عدى بن عميرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتى به يوم القيامة، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأنى أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، أقبل عنى عملك، قال: ومَالَكَ؟ قال: سمعتك تقول: كذا وكذا٠٠٠))**[٢]٠

قال ابن علان: " **(سمعتك تقول: كذا وكذا)** من ألفاظ الكنايات مثل: كيت وكيت، ومعناه مثل ذا، ويكنى بها عن المجهول وعما لا يراد التصريح به " [٣]٠

وقال عن كنية عمر بن الخطاب ﷺ: " (أبى حفص) بالحاء المهملة . وهو الأسد٠٠٠وكنى به ؛ لكمال شجاعته ومزيد صلابته "[٤].

ومن الكناية اللغوية ما ورد فى قول أبى موسى الأشعرىﷺ من حديث طويل:**((فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى فقلت: إن يرد الله بفلان . يريد أخاه . خيرا يأت به))** [١]٠

---

(٢) ينظر: التعبيرالبيانى (رؤية بلاغية نقدية): د/ شفيع السيد: ص ١١٦، وأضواء على الفكر البلاغى (البيان): د/ محمد الحفناوى: ص ١٨٧، ومحاضرات فى علم البيان: د/ حسن طبل: ٢/٧١ ٠

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم هدايا العمال): ٣/ ١٤٦٥، ح١٨٣٣ ٠

(١) دليل الفالحين: ١/٥٣٦ ٠

(٢) دليل الفالحين:١/٣٩ ٠

فكلمة " فلان " كناية عن اسم المحدث عنه، قال ابن علان مشيرا إلى الكناية: " **(بفلان)** كناية عن المبهم من أعلام العقلاء، وقد تستعمل فى غيرهم مجازاً " [٢].

وتارة يطلق مصطلح " الكناية " مرادا به المعنى الاصطلاحى، لذا سنقوم بعرض نماذج منها، وذلك فى إطار التقسيمات التى استقر عليها البلاغيون:

صور الأسلوب الكنائى:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: كناية عن صفة: وضابطها أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المرادة، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها.

وتنقسم الكناية عن صفة إلى ضربين هما: **الضرب الأول: الكناية القريبة:** وهى ما كان الانتقال فيها من المعنى المكنى به إلى المعنى المكنى عنه بلا واسطة، وهذا الضرب من الكناية ينقسم إلى نوعين هما:

(أ) واضحة: وهى ما لا تحتاج فى إدراكها إلى نظر ؛ لأن المعنى المنتقل إليه يسهل إدراكه بعد إدراك المنتقل عنه، لكونه لازما بينا .

وهاك بعض أمثلة من الكنايات القريبة الواضحة التى صرح بها ابن علان: روى أبوهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: **((كان يقول: يا نساء المسلمات، لا تَحْقِرَنَّ جارة لجارتها ولو فِرْسِنَ شاة))** [٣].

قال ابن علان: " **(فرسن شاة)** كناية عن القلة، ويحتمل أن يكون نهياً للمعطاة، أى: لا تحتقر المعطاة الشىء القليل بل تشكر ذلك " [٤].

فهذه الكناية التى أشار إليها ابن علان مع وضوحها إلا أنها تمس أحاسيس وهواجس خفية تختلج فى نفوسنا، فالرسول ﷺ يبين لنا أنه ينبغى على الإنسان ألا

---

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (قول النبىﷺ: لو كنت متخذا خليلا): ٣/ ١٣٤٣، ح٣٤٧١ .

(٤) دليل الفالحين: ١/ ١٩١ .

(١) الفرسن: هوعظم قليل اللحم، وهو خُفَّ البعير كالحافر للدابة، ويطلق على الشاة مجازا .والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الهبة فضلها والتحريض عليها): ٢/ ٩٠٧، ح٢٤٢٧ .

(٢) دليل الفالحين: ١/٣٥٤، ٣٥٥ .

يستصغر من المعروف شيئاً يقدمه لصديقه، لا سيما النساء اللاتى يغلب عليهن استصغار الشيء القليل والتباهى بالكثير، فالهدية بمعناها وأثرها لا بقيمتها ومقدارها، فبالتهادى تزداد المحبة، وتزال الجفوة، وترسخ العلاقات، وتصنع الصداقات، وتتضاعف الحسنات، فعلى المرء ألا يستهن بالصدقة وإن قلَّت، فقد تصدقت أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . بعنبة واحدة وقالت: كم فيها من ذرة !! والله ﷻ يقول: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾** (١)، ومن جانب آخر لا تحتقرن جارة شيئاً أهدى إليها، وألا يكون ذلك مدعاة لعدم تقدير الهدية، ولا يكون مدعاة لردها، بل يجب أن تكون النفس عالية، والنظر إلى مهديها وظروف الإهداء، وأن يكون لها وقع عند صاحبها، فلا أحد يتصدق بالقليل إلا إذا لم يجد عنده شيء سواه، فهذه الكناية أفادت المبالغة في الحث على الإهداء ولو فى الشيء اليسير، وفيها دعوة للتخفف من هذا التغالى والتنافس فى أنواع الموائد والأطعمة كما هو منتشر الآن، كما أن التهادى باليسير يؤدى إلى
دوام الوصال ؛ إذ الكثير لا يتوفر فى كل حال ٠

وعن ابن عباس . رضي اللّه عنهما . أن رسول الله ﷺقال: **((من كره من أميره شيئا فليصبر ؛ فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية))** (٢)٠

قال ابن علان: " **(من خرج من السلطان)** أى: من طاعته **(شبراً)** كناية عن القلة، أى: وإن كان الخروج يسيراً كأن بعد عنها لو كانت محسوسة قدر شبر "(٣)٠ فهذه الكناية تشير إلى أصل من الأصول المهمة التى جاءت بها الشريعة، ألا وهى وجوب طاعة الأمير، فالبيعة إذا ما حصلت له من قِبَل المسلمين، ونصبوه حاكماً عليهم، فيجب عليهم طاعته ؛ لأنه أمير قد بويع، ويجب ترك الخروج عليه أو حل عقد البيعة التى حصلت له ولو بأدنى شيء ؛ نظرا لما يترتب على هذا الخروج من الظلم والفساد أكثر من ظلمه، فقد يئول الأمر إلى سفك الدماء بغير

---

(٣) الزلزلة: ٠٧

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الهبة فضلها والتحريض عليها): ٦/ ٢٥٨٨، ح٦٦٤٥ ٠

(٢) دليل الفالحين: ١٣٨/٣ ٠

حق ؛ لذا فيجب الصبر عليه، وأن يكره ما يأتى من معصية الله، وأن يتضرع إلى الله . تعالى . في كشف أذاه، ودفع شره، وإصلاحه، وأن يقلعوا عما هم عليه من ذنوب، ولا ينزعن يدا من طاعة، طالما لم يكفر الإمام أو لم يظهر خلاف دعوة الإسلام، وكان لضياع هذا الأصل السبب فى استشراء الفتن والمحن التى شهدتها الأمة الإسلامية فى أزمنتها المتعاقبة.

وقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: ((..واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) [(١)].

قال ابن علان: " **(ليس بينها وبين اللّه حجاب)** كناية عن سرعة إجابتها ونفوذ أثرها وقضيتها " [(٢)].

فالكناية تبين لنا سرعة صعود دعوة المظلوم ووصولها إلى الله ﷻ، كسرعة الشرر المتطاير من النار فى الهواء، كما أن نبال أدعية المظلوم مصيبة وإن تأخر الوقت، لا سيما إذا صدرت فى جوف الليل ممن تفطر قلبه كمدا بسبب الظلم، فإنها لا شك ستفتك بالظالم فتكا عظيما، قال على رضي الله عنه:

واحذر من المظلوم سهما صائبا واعلم بأن دعاءه لا يحجب

وقال ابن الوردى:

إياك مِن عسف الأنام وظلمهم واحذر من الدعوات فى الأسحار

(ب) خفية: وهى ما تحتاج فى إدراكها إلى شىء من إعمال فكر وإلطاف روية ؛ لأن اللزوم بين المعنيين (المكنى به والمكنى عنه) فيه غموض ما. عن أبى بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((يا أبا المنذر، أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر، أتدرى أى**

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (أخذ الصدقة من الأغنياء وترد فى الفقراء حيث كانوا): ٢/٥٤٤، ح١٤٢٥ .

(٤) دليل الفالحين: ٣/٥٧٨ .

آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(١)**، قال: فضرب فى صدرى وقال: والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أبا المنذر))** (٢)٠

فتعليق ابن علان يستشف منه أن هذه الكناية لا يقف السامع على معناها فى بديهة الخاطر، بل تحوجه إلى لطف روية وإمعان نظر، فقد قال: " **(وقال: ليهنك العلم أبا المنذر)** من هنانى الطعام يهنيني ويهنانى، وهنأت به: أى تهنأت به: أى جاءنى من غير مشقة ولا تعب، والقصد الدعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه، وحقيقته: الإخبار على طريق الكناية بأنه راسخ فى العلم ؛ لإجابته بما هو الحق عند اللّه تعالى، وأبرز ذلك فى صورة أمر العلم، بأن يكون هو هناء له ؛ مبالغة فى البشارة والمنة، وإعلاماً بما قدمته من أن النبى أمده من علومه الإلهية بما هنأه به، وأزال عنه مشقة التعلم، فأجاب فوراً بالحق، وفى هذا منقبة جليلة لأبىّ، ودليل ظاهر على كثرة علومه وسابغ منته، وأنه خصه من إمداداته الإلهية بما لم يخص به نظراءه وتكريمه بالكنية " (٣)٠

وقال كعب بن مالك ﷺ وهو يحدث حديثه عن تخلفه عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك: **((لم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس فى القول بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، والنظر فى عطفيه، فقال له معاذ بن جبل ﷺ: بئسما قلت، والله يا سول الله ما علمنا عليه إلا خيرا))** (٤)٠

فالعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عطفا ؛ لوقوعه على عطفى الرجل، لذا كنى الرجل بذلك عن اختيال وإعجاب كعب ﷺ بنفسه ولباسه ، يقول ابن علان: " **(والنظر فى عطفيه)** أى: جانبيه، كناية عن العجب٠ قال القرطبى: وكأن

---

(١) البقرة: ٢٥٥٠

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (فضل سورة الكهف وآية الكرسى): ١/ ٥٥٦، ح٨١٠ ٠

(٣) دليل الفالحين: ٥١٢/٣ ٠

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (حديث كعب بن مالك): ٤/ ١٦٠٤، ح٤١٥٦ ٠

هذا القائل كان فى نفسه حقد على كعب، ولعله كان منافقاً فنسب كعباً إلى الزهوّ والكبر، وكانت نسبة باطلة ؛ بدليل ردّ العدل الفاضل معاذ بن جبل عليه "[١].

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: **((كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، إذ جاء رجل من الأنصار، فسلم عليه، فقال رسول الله: يا أخا الأنصار، كيف أخى سعد بن عبادة؟ فقال: صالح، فقال رسول الله: من يعوده منكم ؟ فقام وقمنا معه٠٠٠))** [٢] ٠

قال ابن علان: " وقوله: (صالح) أى: للشفاء عند مجىء إبانها فى العلم الأزلى، وهو كناية عن مرضه، فلذا توجه لعيادته ﷺ " [٣].

فالكناية بقولهم: " صالح " عن المرض من باب التفاؤل بشفائه، جريا على عادة العرب فى تسميتهم اللديغ سليماً ؛ تفاؤلاً له بالسلامة، والأرض المهلكة: مفازة ؛ تفاؤلاً بأن الذى يسلكها سيفوز وينجو، وهذه من الكنايات الخفية التى لا يصل إليها كل أحد، ويجوز حمل هذه التسمية على المجاز المرسل لغلاقة التضاد ٠

الضرب الثانى: الكناية البعيدة: وهى ما كان الانتقال فيها بين المعنيين المكنى به والمكنى عنه بواسطة أو عدة وسائط٠

ومن ذلك ماورواه عمر بن الخطاب ﷺ فى ما طرحه جبريل عليه السلام من أسئلة على رسول الله ﷺ قال: **((قال: فأخبرنى عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان))** [٤]٠

أشار ابن علان إلى الكناية بقوله: " (قال: أن تلد الأمة ربتها) أى: سيدتها٠٠٠ كناية إما عن كثرة التسرى اللازمة لاستيلائنا على بلاد الكفرة، حتى تلد السرية بنتاً أو ابناً لسيدها، فيكون ولدها سيدها كأبيه ؛ فالعلامة استيلاؤنا على

---

(٢) دليل الفالحين: ١/١٠٦، ١٠٧ ٠

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (عيادة المرضى): ٢/ ٦٣٧، ح٩٢٥ ٠

(٤) دليل الفالحين: ٢/ ٤٧٥،٤٧٦ ٠

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان): ١/ ٣٧، ح٨ ٠

بلادهم وكثرة الفتوح والتسرى، أو عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان، حتى تشتري المرأة أمها، وتسترقها، جاهلة أنها أمها،

فتكون العلامة غلبة الجهل الناشىء عنها الممنوع منه" [١].

فإذا كان قوله ﷺ: " أن تلد الأمة ربتها " كناية عن كثرة السرارى بين الناس، حتى تلد المملوكة سيدتها، أى: تحمل من سيدها وتلد سيدتها ؛ لأن بنت السيد سيدة، وابن السيد سيد . كانت الكناية قريبة خفية.

وإذا كان قوله ﷺ كناية عن كثرة بيع المستولدات . فمن الممكن عده من الكنايات البعيدة ؛ لأن الذهن ينتقل من كون ابنة الرجل من أمته فى حكم السيدة لها، إلى كثرة هؤلاء المولودات، ومنه إلى شرائهن لأمهاتهن دون أن يشعرن واستخدامهن، ومنه إلى كثرة تبايع الناس أمهات.

وعن سلمان الفارسى ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: **((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور، ويدهن من دهنه، ويمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلى ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام،إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى))** [٢].

فالذهن ينتقل من التفرقة بين الناس إلى تخطى الرقاب، ومنه إلى التبكير فى الصلاة، لذا يقول ابن علان: " قال البرماوى: وقوله: (فلا يفرق إلخ) كناية عن التبكير، فإنه إذا بكَّر لا يتخطى الرقاب، ولا يفرق بين الناس "[٣] .

وهذه الكناية تحثنا على تحرى الأوقات الفاضلة التى فرط فيها الكثير وزهد فيها الناس، والحرص على استغلالها بكل ما أوتى من فعل الخيرات وترك المنكرات، ومن هذه الأوقات ما أمرنا الله ﷻ بالتبكير لصلاة الجمعة ؛ لما فى ذلك من الثواب الجزيل ؛ ولأن اعتياد التأخرعنها قد يجر إلى تركها، ومن الأحاديث التى تدل على فضل التبكير ما رواه أوس بن أوس الثقفى قال: رأيت رسول الله يقول:

---

(٢) دليل الفالحين: ١/ ٢٢٣ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الدهن للجمعة): ١/ ٣٠١، ح٨٤٣ .

(١) دليل الفالحين: ٣/ ٦٤١ .

((من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)) [١].

القسم الثانى: الكناية عن موصوف: وهى أن يكون المكنى عنه فيها ذاتا ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام، وقد يكون لفظ الكناية ذاتا أو صفة، أو أوصافا تختص به وتدل عليه ٠

وهذا القسم نوعان:

(أ) فمنه: ما هو معنى واحد، وذلك بأن يتفق فى صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين فتذكر ليتوصل بها إليه ٠

ومنه ما ورد فى الحديث الذى رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب . رضى الله عنهما . فى الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة باب الغار، فقد ورد فيه قول أحدهم: **((فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها))** [٢].

قال ابن علان: " (قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه) ٠٠٠والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه: التزويج المشروع، أى: لا تزل بكارتى إلا بالتزويج " [٣].

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: " **تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك** " [٤].

قال ابن علان: " (فاظفر) أيها المسترشد (بذات الدين) أى: بصاحبته وهو أبلغ من صاحبته ؛ لأنها كناية " [٥].

---

(٢) أخرجه النسائى فى سننه: باب (فضل غسل يوم الجمعة): ٣/ ٩٥، ح١٣٨١ ٠

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضى): ٢/ ٧٧١، ح٢١٠٢ ٠

(١) دليل الفالحين: ١/٧٥ ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الأكفاء فى الدين): ٥/ ١٩٥٨، ح٤٨٠٢ ٠

(٣) دليل الفالحين: ٢/٢٣١ ٠

فالكناية تشير إلى" أن اللائق بذى الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره فى كل شىء، لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبى ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذى هو غاية البغية"(١).

(ب) ومنها: ما هو مجموع عدة معان، وذلك بضم صفة إلى لازم آخر وآخر، لتصير جملتها مختصة بموصوف، فيتوصل بذكرها إليه ٠

ونستطيع أن نستشهد لتلك الصورة بما رواه أبوهريرة وأبو قتادة ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه صلى على الجنازة، قال: ((**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام٠٠٠**)) (٢) ٠

قال ابن علان: " قال ميرك: كل من القرائن الأربع فى الحديث على الشمول والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص نظراً إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللهم اغفر لكل المسلمين، فهى من الكنايات الرمزية، يدل عليه جمعه فى قوله: «اللهم من أحييته منا٠٠٠إلخ »" (٣).

القسم الثالث: الكناية عن نسبة: وضابطها أن يصرح بالموصوف والصفة، دون تصريح بالنسبة بينهما، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها. وهذه النسبة قد يقصد منها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، ولم نعثر لهذا القسم على شاهد فى تعقيبات ابن علان، ومن شواهد الكناية عن النسبة قولهم: المجد بين ثوبيك، والكرم ملء برديك، هذا وقد اشترط البلاغيون فى كل كناية من الكنايات الثلاث التى عرضنا لها سابقا أن يكون المعنى المكنى به مختصا بالمكنى عنه لا يتعداه، ليحصل الانتقال منه إليه ٠

الكناية بين الحقيقة والمجاز:

انقسم البلاغيون إزاء الحكم على الكناية بالحقيقة أو المجاز أو غيرهما إلى مذاهب شتى، وإليك البيان:

---

(٤) فتح البارى: ١٣٥/٩ ٠

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه: باب (الدعاء للميت): ٣/ ٢١١، ح٣٢٠١ ٠

(٦) دليل الفالحين: ٤٢١/٣ ٠

الأول: منهم من جعلها من باب الحقيقة ؛ كالإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ) ؛ لأن الكناية عبارة عن أن تذكر لفظة، وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود، وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ، وجب أن يكون معناه معتبرا، وإذا وجب فى الكناية اعتبار معانيها الأصلية لم تكن مجازا أصلا [١].

الثانى: منهم من جعلها من باب المجاز، كالإمام يحيى بن حمزة العلوى (ت ٧٤٩ هـ)، لأن الكناية قد دلت على معناها اللغوى الذى وضعت من أجله، فلا يخلو حالها بعد ذلك،إما أن تدل على معنى مخالف لما دلت عليه بالوضع أم لا، فإن لم تدل فلا معنى للكناية، وإن دلت عليه وجب القول بكونه مجازا، لما كان مخالفا لِما دلت عليه بالوضع [٢].

الثالث: منهم من جعلها واسطة بين الحقيقة والمجاز، كالخطيب القزوينى (ت ٧٣٩هـ)، فهى ليست حقيقة ؛ لعدم استعمالها فى المعنى الأصلى، وليست مجازا ؛ لأن قرينتها غير مانعة من إرادة المعنى الأول، **وهذا الرأى هو ما أميل إليه وأرجحه** [٣].

الرابع: ومنهم من قسمها إلى حقيقة ومجاز، كالإمام تقى الدين السبكى (ت ٧٥٦هـ)، فاللفظ إذا استعمل فى معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا، فتكون قسما من أقسام الحقيقة، وإن لم يرد معناه بل عُبر بالملزوم عن اللازم، فتكون قسما من أقسام المجاز ؛ لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له [٤].

أما ابن علان فهو وإن لم يذكر رأيه صراحة فى الحكم على الكناية بالحقيقة أو المجاز أو
غيره، إلا أننا نستطيع أن نستشف رأيه من خلال التعليقات التى ورد فيها التصريح بلفظ الكناية، ففى تعقيبه على قوله:ﷺ**((عضوا عليها بالنواجذ))**، تجده يعده إما

(١) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز: للرازى: ص ١٩١، ١٩٢، وينظر: مفتاح العلوم: ص ٤٠٣ وما بعدها، والإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز: لعز الدين بن عبد السلام: ص ٦٣، ٦٤.

(٢) الطراز: للعلوى: ص١٧٧، وينظر: العمدة: لابن رشيق: ٢٦٨/١.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص: ٢٣٨/٤.

(٤) الإغريض فى الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض: لتقى الدين السبكى: ص ٣١٥ .

من قبيل المجاز أو الكناية، وعلى هذا فالكناية ليست معدودة من باب المجاز، فتراه يقول: " والمعنى: عضوا عليها بجميع الفم ؛ احترازاً من النهش، وهو الأخذ بأطراف الأسنان، فهو إما مجاز بليغ فيه تشبيه المعقول بالمحسوس، أو كناية عن شدة التمسك بالسنة والجد في لزومها، كفعل من أمسك بنواجذه شيئاً، وعض عليه ؛ لئلا ينزع منه ؛ لأن النواجذ محدودة، فإذا عضت على شيء نشبت فيه، فلا يتخلص " (١) .

كما أن ابن علان لا يعد الكناية من قبيل الحقيقة، ففى تعقيبه الذى ساقه على ما رواه جابرﷺ أن رسول الله ﷺ قال:((**اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..**)) (٢). فتراه يقول ابن علان معقبا على قولهﷺ: **(فإن الظلم ظلمات يوم القيامة):** " يحتمل كما تقدم أنه على حقيقته، وظاهره أنه يصير ظلمة فى الآخرة، ويحتمل كونها كناية عن شدائد ذلك اليوم وما يلقاه من الأهوال " (٣).

وطالما أن الكناية ليست من باب المجاز أو الحقيقة فهذا ما يجعلنا نرجح أنه يميل إلى مذهب الخطيب القزوينى، وهو اعتبار الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز .

بلاغة الكناية:

قد يقتضى المقام اللجوء إلى الكناية ؛ وذلك لأنها تفيد أموراً لا تستطيع الألفاظ الصريحة المكشوفة الوفاء بها، ومن هذه الفوائد التى أشار إليها ابن علان فى ثنايا حديثه:

١. التعبير عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه: تتيح الكناية للمتكلم التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة، وتنزيه الأذن عما تنبو عن سماعه ؛ فإن العبارة عن الأمورالمستقبحة بالعبارات الصريحة ضرب من الفحش والبذاء، حتى وإن كانت العبارة صحيحة، والمتكلم بها صادقاً، وأكثر ما يكون ذلك فى ألفاظ الجماع وما يتعلق به، فإن أهل الخير يتحاشون عن تلك العبارات ويكنون عنها،

(١) دليل الفالحين: ١٠١/٢ .
(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم الظلم): ٤/ ١٩٩٦، ح٢٥٧٨ .
(٣) دليل الفالحين: ٥٦٨/٢ .

وقد أشار ابن علان إلى هذا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح))** [١].

قال ابن علان: " **(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه)** قيل: هو كناية عن الجماع، ويقويه قوله: «الولد للفراش»، والكناية عما يستحى من التصريح به فاشية في الكتاب والسنة" [٢].

٢ـ **حسن الأدب في التعبير**: ويتمثل ذلك في أن يتحاشى الإنسان التصريح باسم المكنى عنه ؛ نظرا لارتكابه فعلا قد يؤاخذ عليه، أو يوجه بسببه نقدا إليه، فيلجأ المتكلم إلى الكناية عن اسمه ؛ خوفا من التشهير به، وإجلالا واحتراماً له. مثال ذلك: عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ قال: **((جاء رجل من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز ؛ فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة))** [٣]. قال ابن علان مشيرا إلى الكناية والغرض منها: " **(فلان)**: كناية عن ذي العلم العاقل المذكر، والظاهر أن الراوي هو الذي كنى عنه، والرجل الذي شكاه للنبي سماه، وذلك من حسن الأدب في التعبير" [٤].

٣. قصد الاختصار: تعد الكناية صورة من صور الإيجاز بالقصر؛ إذ تعتمد على التركيز، والاكتفاء باللمحة الدّالة، فتومئ بإشارات معبّرة موحية إلى معان خصبة وغزيرة، كما يُلجأ إلى الكناية للاستغناء عن زوائد الكلام مما لا ينشأ عنه خلل في الفهم . فقد روى أبو موسى الأشعري ﷺ قال: **((دخلت على النبي أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحدهما: يا رسول اللّه، أمِّرْنا على بعض ما وَلَّاك**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب (تحريم امتناعها من فراش زوجها): ٢/ ١٠٦٠، ح١٤٣٦ .

(٢) دليل الفالحين: ٢/١٠٩ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان؟): ٦/٢٦١٧، ح٦٧٤٠ .

(٤) دليل الفالحين: ٣/١٠٩ .

اللّه ﷻ ، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: إنا واللّه لا نولى هذا العمل أحداً سأله، أو أحداً حرص عليه)) [١].

قال ابن علان مبينا الكناية والفائدة من ورائها: " (وقال الآخر مثل ذلك) أى: كلفظ صاحبه، فكنى عنه بما ذكر؛ اختصاراً "[٢].

٤. ترجيح بعض المعانى على بعض: فقد تحتمل العبارة أكثر من معنى، ولكن ورود الكناية فيها يكون مرجحا قويا لأحد المعانى المحتملة . ففى الحديث الذى رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب فقال: إنى أخاف الله...))** [٣].

نجد ابن علان يصرح بهذه الفائدة فى إطار استعراض المعانى التى يحتملها قوله: ﷺ (ورجلدعته امرأة ذات منصب) فيقول: " والمراد: دعته إلى نفسها كما زاد ابن المبارك فى روايته، وعن البيهقي في «الشعب» من حديث أبي هريرة «فعرضت نفسها عليه»، والظاهر أنها دعته إلى الفاحشة، وبه جزم القرطبي ولم يحك غيره، وقال بعضهم: يحتمل أنها دعته إلى التزويج، فخشى أن يشغله عن عبادة مولاه والافتتان بها، أو خاف أن لا يقوم بحقها ؛ لشغله بالعبادة عن التكسب لها. والأول أظهر ؛ ويؤيده وجود الكناية فى قوله: " إلى نفسها "، ولو كان المراد التزويج لصرح به، والصبر عن الموصوفة بما ذكر من أكبر المراتب ؛ لكثرة الرغبة فى مثلها، وعسر تحصيلها ؛ سيما وقد أغنت عن مشاق التوصل إليها بمراودة ونحوها " [٤] .

---

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها): ٣/ ١٤٥٦، ح١٧٣٣ .

(٢) دليل الفالحين: ١٤٧/٣ .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد): ٢٣٤/١، ح ٦٢٩ .

(٤) دليل الفالحين: ٢٥٢/٢ .

التعريض

ماهية التعريض:

التعريض: خلاف التصريح، يقال: عرَّضت لفلان أو بفلان: إذا قلت قولا وأنت تعنيه، ومنه المعاريض فى الكلام، واشتقاقه من قولهم: عرَض له كذا: إذا عَنَّ ؛ لأن الواحد منا قد يعرض له أمر خلاف التصريح، فيؤثره ويقصده ٠

والتعريض فى مصطلح علماء البيان هو: اللفظ الدال على الشىء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى، وقيل: هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، وقيل: هو المعنى المدلول عليه بالقرينة دون اللفظ [١]٠

وقد أشار ابن علان فيما نقله عن الراغب أن " التعريض " هو المعنى المفهوم من فحوى الكلام، وأحيانا يسمى هذا الأسلوب أيضا " باللحن " المحمود، حيث قال: " قال الراغب: اللحن: صرف الكلام عن سننه الجارى عليه إما بإزالة الإعراب والتصحيف، وهو مذموم، وذلك أكثر استعمالاً، وإما بإزالته عن التصريح، وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود، وإياه قصد الشاعر بقوله: ***وخيرُ الحَديثِ ما كانَ لَحْناً*** ومنه قوله . تعالى .: **﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾** [٢]، ومنه قيل للفطن لما لا تقتضى فحوى الكلام لحن " [٣]٠

ويلجأ المتكلم إلى التعريض بالكذب إذا مست الحاجة إليه، واقتضته المصلحة، ولا يسمى ذلك كذبا، وأما اللجوء إليه بدون حاجة واضطرار فقيل: يحرم ؛ لأن اللفظ ظاهره الكذب وإن احتمل الصدق، وقيل: لا يحرم ؛ لأنه ليس بكذب ؛ لأنه مما يحتمله اللفظ [٤]، لهذا يرى ابن علان أن فى المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك عند الحذر من الظلمة والأشرار، فقال: " ولا يتناول . أى الكذب . التعريض ؛ فإنه ليس بكذب أصلاً، كقول إبراهيم: **﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴾**[٥] أى: سأسقم،

---

(١) الطراز: للعلوى: ص ١٧٩، ١٨٠.
(٢) محمد:٣٠.
(٣) دليل الفالحين:١ /٥٤٢ ٠
(٤) حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح: للطحطاوى الحنفى: ٥٤/١ ٠
(٥) الصافات:٨٩.

وقوله فى سارة: إنها أختـه: أى باعتبار الإسلام، وإطلاق الكذب على ذلك فى بعض الأحاديث من مجاز المشاكلة، أى: ظاهر صورته ذلك " [١]

ومن حديث طويل رواه ابن عباس . رضى الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ: **((انظر إلى الأفق، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب٠٠٠فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: سبقك بها عكاشة))** [٢]٠ فالرسول ﷺ يعلمنا التلطف فى الجواب، وحسن الأدب والرد الجميل على الغير ؛ حيث لجأ إلى أسلوب التعريض فى قوله لهذا الصحابى: **((سبقك بها عكاشة))**، وعدل عن التصريح بقوله: لست منهم أو لست على أخلاقهم فى قضية التوكل وعدم التطير ؛ كى لا يجرحه ولا يحزنه، قال ابن علان مبينا المعنى التعريضى الوارد فى قوله ﷺ: " **(سبقك بها)** أى: فى الفضل بالدعوة إلى منزلة أصحاب هذه الأوصاف **(عكاشة)**، وكره أن يقول له: لست من أهل هذه الطبقة ؛ لأنه لكمال فضله لا يواجه أحداً بما يكره، فجاء بكلام موف للغرض، وفيه التعريض بالمراد " [٣]٠

وعن أبى هريرة ﷺ **((أن رجلا قال للنبى ﷺ: أوصنى، قال: لا تغضب، فردد مرارا، قال: لا تغضب))** [٤]٠

قال ابن علان: " **(فردد)** أى: فكرر الرجل قوله: أوصنى **(مراراً)** تعريضاً بأنه لم يقنع بذلك، وأنه يطلب وصية أبلغ وأنفع، فلم يزده ؛ لعلمه أن لا أنفع من ذلك له " [٥]٠

فتكرير الرجل قوله: " أوصنى " اعتقادا منه أن عدم الغضب ليس أمرا يعتد به، لكنه ﷺ لم يزده على هذا الجواب، وكأنه أراد أن يبين له أن الغضب من خطورة

(١) دليل الفالحين:٣ /٨٣ ٠
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير نجاسة ولا عذاب): ١/ ١٩٩، ح٢٢٠ ٠
(٣) دليل الفالحين:١ /٢٦٢ ٠
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه: باب (الحذر من الغضب): ٥/ ٢٢٦٧، ح٥٧٦٥ ٠
(٥) دليل الفالحين:٣ /٩٥ ٠

بمكان، فالغضب هو جماع الشر كله، وهو نار أنت أول من يحترق بها ؛ لذا فإيقاف الغضب واجتناب دواعيه قبل بدايته، خير من التمادى فيه ومحاولة إصلاح نتائجه الوخيمة، ومساوئه الذميمة، وليس المراد بقوله :ﷺ " **لا تغضب** " نهيه عن نفس الغضب ؛ إذ الإنسان مجبول عليه، فإن " الله . تعالى . خلق الغضب من النار، وعجنه بطينة الإنسان، فمهما نوزع فى غرض من أغراضه اشتعلت نار الغضب فيه، وفارت فورانا يغلى منه دم القلب، وينتشر فى العروق، فيرتفع إلى أعالى البدن ارتفاع الماء فى القدر، ثم ينصب فى الوجه والعينين حتى يحمرا منه ؛ إذ البشرة لصفائها كالزجاجة تحكى ما وراءها، هذا إذا غضب على من دونه، واستشعر القدرة عليه، فإن كان ممن فوقه وأيس من الانتقام منه، انقبض الدم إلى جوف القلب، وكَمِن فيه، وصار حزنا، فاصفر اللون، أو من مساويه الذى يشك فى القدرة عليه، يتردد الدم بين انقباض وانبساط، فيصير لونه بين صفرة وحمرة " .[1]

وعن معاوية بن الحكم السلمى ﷺ قال: **((بينا أنا أصلى مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرمانى القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلى؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتُوننى لكنى سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ . فبأبى هو وأمى . ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرنى[2] ولا ضربنى، ولا شتمنى، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس، إنما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن))** .[3]

قال ابن علان: "**(ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه)** فيه تعريض أنهم بالغوا فى الإنكارعليه فى الكلام، مع عذره بجهله بتحريم ذلك ؛ بقرب إسلامه " .[4]

---

(١) حاشية العدوى:٢/٥٦٣ .

(٢) كهرنى: نهرنى، وقيل: الكهر: العبوس فى وجه من يلقاه .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه: باب (تحريم الكلام فى الصلاة): ١/٣٨١، ح٥٣٧ .

(٤) دليل الفالحين:٣ /١٧٥ .

فمعاوية كشف لنا بأسلوب التعريض ما تعرض له من نهر وزجر ولوم وعتاب من الصحابة ﷺ نتيجة الخطأ الذى ارتكبه دون أن يدرى أنه أخطأ، فلم يكن يعلم أن الصلاة لا يصح فيها الكلام، وهذا المعنى قد أفاده فحوى تصريحه بأن الرسول ﷺ قد نصحه برفق، وأخلص له التوجيه، فلم يلجأ إلى التوجيه المباشر الذى قد يؤذى الشعور الإنسانى، ولم يقف عند حدود الزلل الذى وقع فيه، بل سلّط الضوء على الصواب، وإزالة الغشاوة عن عينه، وبيان لما يجب أن يفعله في المرات القادمة دون نهر أو لوم ٠

لهذا كان التعريض وسيلة ناجعة يستخدمها البليغ ؛ إذ له من الأثر ما لاتبلغه الحقيقة المجردة، أو المجاز بأقسامه، أو الكناية بصورها ؛ " وذلك لأنه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من: عتاب، أو نقد، أو سؤال، أو شكاية . على الحاضرين، حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده بالتعريض ؛ لما علمت من أن التعريض إنما يفهم من أحوال خارجة عن اللفظ، لا من اللفظ، وهذه الأحوال قد تكون معلومة للمقصود بالكلام دون سائر الحاضرين ٠٠ولذا كان التعريض وسيلة ناجحة يستخدمها العالم البليغ فى تقويم أو إرشاد من تأخذهم العزة بالإثم، إذا أمروا بمعروف أو نهو ا عن مر، وذلك بأن يوجه إلى غيرهم الخطاب بإنكار أمر يفعلونه، ذاكرا ما ورد فيه من الزجر والوعيد فى الكتاب والسنة وسيرة السلف، وهم يسمعون أو يعلمون ما يقول " [1]٠

(١) البلاغة التطبيقية : ص٢٦٩، ٢٧٠ ٠

الخاتمة

فى الصفحات السابقة حاولنا جاهدين الكشف عن الجانب البلاغى عند ابن علان، وذلك من خلال عرضنا وتناولنا لصور البيانية فى كتابه (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)، ويحسن بنا أن نقف هنيهة لنسجل بعض النتائج التى توصلنا إليها، وهى على النحو الآتى:

- البيان النبوى بيان ساحر ؛ إذ يحتوى على تصوير المعاني بأروع الصور، وابتداع الأخيلة التي لم تعرف فى كلام العرب ؛ لهذا صار موضع الدهش، ومحل الإعجاب من كل من سمعه ٠

- ابن علان عالم موسوعى، غزير المعرفة، ضربت معرفته فى كل صوب، له مؤلفاته كثيرة غطَّت موضوعات إسلامية عديدة ٠

- من أبرز خصالِ ابن علان تمتعه بالأمانة العلمية، فهو ناقل أمين حيث لم يدَّع لنفسه رأيا أو قولا طيبا ليس له، مما يَثِقُ الناس بما يحويه من علم، و يعرفون بيسر مدى تأثره بغيره٠

- لقد كشفت لنا صفحات هذا البحث وما انطوت عليه من صور البيان التى ألمع إليها ابن علان أنه صاحب حس بلاغى عميق اجتمعت فيه النظرية مع التطبيق ٠

- وقع ابن علان أحيانا فى الخلط بين بعض المصطلحات المسائل البلاغية، كالخلط بين الاستعارة المكنية والتشبيه٠

- خالف ابن علان جمهور البلاغيين، وقد ظهرت هذه المخالفة تارة فى إطلاق المصطلحات، فتراه يطلق مصطلح " المجاز العرفى " على ما أسماه البلاغيون " المجاز الشرعى "، وتاره أخرى تظهر المخالفة فى المسائل البلاغية، حيث أقر جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز ٠

- اتسم ابن علان بشخصية مستقلة ظهرت بجلاء من خلال انتقائه لرأى دون رأى، وميله لعالم دون آخر، فقد ذهب مذهب الجمهور فى الاستعارة التبعية، واختار رأى الخطيب فى الاستعارة المكنية، ورأى الزمخشرى فى الاستعارة التخييلية ٠

- يشير ابن علان تارة إلى اختلاف العلماء حول قضية ما دون ذكر رأيه أو ترجيح أحد الآراء، وقد ظهر هذا فى إطار حديثه عن الاستعارة التمثيلية، وتارة أخرى يلجأ إلى الإجمال دون التفصيل، فيقول: هذا من مجاز التغليب، دون تحديد نوع المجاز، وفى الاستعارة فى الحرف لم يحدد نوع التبعية فيها ٠

فهرس المصادر والمراجع

. القرآن الكريم:

. الإتقان فى علوم القرآن: للسيوطى – تح / سعيد المندوه – طبع ونشر / دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.

. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: للشوكانى: تح/ محمد سعيد البدرى . دار الفكر . بيروت . ط١ . ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م٠

. أساليب البيان والصورة القرآنية: د/ محمد إبراهيم شادى: الناشر / دار والى الإسلامية ٠

. أسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجانى – تح / ريتر – ط٣ – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م٠

. الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز: لعز الدين بن عبد السلام – دار الحديث – القاهرة

. أضواء على الفكر البلاغى (البيان): د/محمد الحفناوى – الناشر / مكتبة الزهراء – ١٩٨٨م.

. الأطول شرح تلخيص المفتاح: للعصام . تح٠د/عبد الحميد هنداوى . منشورات محمد على بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١. ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م٠

. الأعلام: للزركلى . دار العلم للملايين . ط٨ .١٩٨٩ م ٠

. الإكسير فى علم التفسير: للطوفى البغدادى: تح٠د/ عبد القادر حسين . مكتبة الآداب . المطبعة النموذجية٠

. الإيضاح: للخطيب القزوينى: مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ١٣٩٠هـ/١٩٧١م ٠

. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين بن إبراهيم . دار المعرفة . بيروت٠

. البرهان فى علوم القرآن: للزركشى – تح / محمد أبو الفضل إبراهيم – منشورات المكتبة العصرية – بيروت – ط٢.

. بغية الإيضاح: الشيخ/ عبدالمتعال الصعيدى . الناشر/ مكتبة الآداب . ط ٧ . ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ٠

. البلاغة التطبيقية: د/ أحمد موسى – مطبعة المعرفة – ط١ – ١٩٦٣م.

. البيان فى ضوء أساليب القرآن: د/ عبد الفتاح لاشين – طبع ونشر / دار الفكر العربى – ط٢ – ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ٠

. تحفة الأحوذى: لأبى العلا المباركفورى: دار الكتب العلمية . بيروت ٠

- التشبيه والكناية بين التنظير اللاغى والتوظيف الفنى: د/ عبد الفتاح عثمان . الناشر / مكتبة الشباب . مطابع الدار البيضاء . ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م ٠
- التصوير البيانى: د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط٤ – ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- التصوير الفنى فى القرآن: للأستاذ / سيد قطب . ط القاهرة . ١٩٦٦ هـ٠
- التعبير البيانى (رؤية بلاغية نقدية): د/ شفيع السيد – دار الفكر العربى – ط٣ – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ٠
- حاشية ابن عابدين: لمحمد أمين: دار الفكر . بيروت . ط٣ .١٣٨٦هـ٠
- حاشية الدسوقى على شرح السعد: دار السرور – بيروت.
- حاشية السيد الجرجانى على المطول: مطبعة أحمد كامل – ١٣٣٠هـ.
- حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح: للطحطاوى الحنفى: مكتبة البابى الحلبى . مصر . ط٣ .١٣١٨ هـ ٠
- حاشية العدوى: على الصعيدى العدوى . تح/ يوسف الشيخ محمد البقاعى . دار الفكر . بيروت .١٤١٢ هـ ٠
- خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر: لمحمد المحبى . دار صادر . بيروت ٠
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: لابن علان الصديقى . دار القلم للتراث . ط٣ ٠
- دور الكلمة فى اللغة – تأليف / ستيفن أولمان – ترجمة. د/ كمال بشر – الناشر / مكتبة الشباب – المطبعة العثمانية.
- الرسالة البيانية: للصبان: تح٠د/مهدى أسعد عرار . منشورات محمد على بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م٠
- سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر: للمرادى:دار الكتاب الإسلامى . القاهرة ٠
- سنن أبى داود: تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الفكر٠
- سنن الترمذى: تح/ أحمد محمد شاكر وآخرون . دار إحياء التراث العربى . بيروت ٠
- سنن النسائى: تح/عبد الفتاح أبو غدة . مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب . ط٢ . ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م٠
- شرح البرقوقى على التلخيص: مطبعة النيل – مصر – ط١ – ١٣٢٢هـ – ١٩٠٤م.
- شرح النووى على صحيح مسلم: دار إحياء التراث العربد بيروت . ط٢.١٣٩٢هـ ٠

- صحيح البخارى تح٠د/ مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير، اليمامة . بيروت . ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م٠
- صحيح مسلم: تح/ محمد فؤاد عبد الباقى . دار إحياء التراث العربى . بيروت ٠
- الصناعتين: لأبى هلال العسكرى – تح. د/ مفيد قميحة – دار الكتب العلمية . بيروت – ط٣ – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ٠
- الطراز: للعلوى – مراجعة وضبط وتدقيق / محمد عبد السلام شاهين – الناشر / دار الكتب العلمية – بيروت – مؤسسة جواد للطباعة والتصوير – ط١ – ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ٠
- عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص: للسبكى – دار السرور – بيروت ٠
- العمدة: لابن رشيق – تح / محمد محيى الدين عبد الحميد – الناشر / دار الجيل – بيروت – ط٥ – ١٤٠١هـ /١٩٨١م ٠
- فتح البارى شرح صحيح البخارى: لابن حجر: تح/ محمد فؤاد عبد الباقى، محب الدين الخطيب . دار المعرفة . بيروت .١٣٧٩ هـ٠
- الكاشف عن حقائق السنن: لشرف الدين الطيبى . تح٠د/ عبد الحميد هنداوى . مكتبة نزارمصطفى الباز . الرياض . ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م٠
- الكشاف: للزمخشرى: تح/ مصطفىحسين أحمد . دار الكتاب العربى بيروت . دار الريان للتراث القاهرة . ط٣ . ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧ م ٠
- لسان العرب: لابن منظور – تح / عبد الله على الكبير وآخرين – دار المعارف.
- اللغة الشاعرة: للعقاد – الناشر / مكتبة الأنجلو المصرية – مطبعة مخيمر – ١٩٦٠م.
- المبسوط: للسرخسى: دار المعرفة . بيروت . ١٤٠٦ هـ٠
- المثل السائر: لابن الأثير – تح / محمد محيى الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- المجاز فى اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع: د/ عبد العظيم المطعنى – مكتبة وهبة – ط٢ – ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ٠
- المجازات المنسية دراسة بلاغية: د/ محمد إبراهيم شادى – مطبعة السعادة – ط١ – ١٤١١هـ /١٩٩١م ٠
- محاضرات فى علم البيان: د/ حسن طبل – مكتبة الزهراء – ١٩٩٤م.

- مختصر العلامة التفتازانى على تلخيص المفتاح: دار السرور – بيروت ٠
- المصباح المنير: للفيومى – تح. د/ عبد العظيم الشناوى – دار المعارف ٠
- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربى – بيروت ٠
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام: تح٠د/ محمد محيى الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ط١ .١٤١١ هـ/١٩٩١ م ٠
- مفتاح العلوم: للسكاكى – تح / نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٢ – ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م ٠
- المطول على التلخيص: للتفتازانى – مطبعة أحمد كامل – ١٣٣٠هـ ٠
- مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص: لابن يعقوب المغربى – دار السرور – بيروت ٠
- نظرات فى التمثيل البلاغى: د/ محمود السيد شيخون: الناشر/ مكتبة الكليات الأزهرية . ط١. ١٤٠١هـ/١٩٨١م٠
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للتلمسانى: تح/ إحسان عباس . دار صادر . بيروت . ط١.١٩٩٧ ٠
- النكت فى إعجاز القرآن: للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن – تح / محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر – ط٣ ٠
- نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز: للرازى – تح. د/ أحمد حجازى السقا – المكتب الثقافى للنشر والتوزيع – القاهرة – ط١ – ١٩٨٩م ٠
- هدية العارفين: لإسماعيل البغدادى – دار الفكر – ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ٠
- الوساطة بين المتنبى وخصومه: للقاضى الجرجانى – تح / محمد أبو الفضل إبراهيم على محمد البجاوى – منشورات المكتبة العصرية – بيروت ٠

دوريات:

مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة . العدد السادس عشر . ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م ٠
مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية – ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.